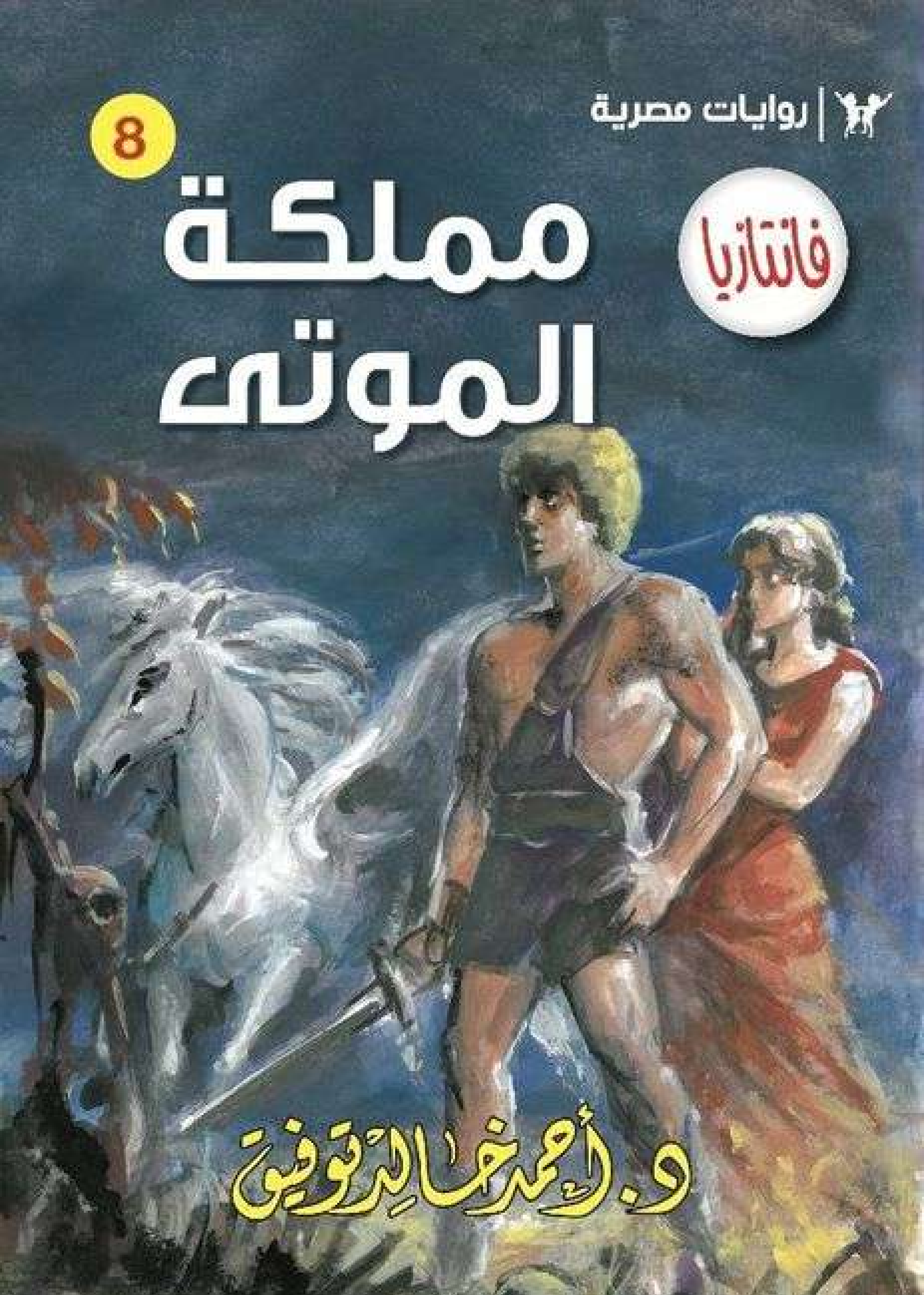


روايات مصرية
8
فانتازيا
مملكة الموتى
د. أحمد خالد توفيق

# مقدمة

اسمها ( عبير ) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهى تفتقر إلى الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لاتصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..

هى لاتلعب التنس ، ولاتعرف السباحة ، ولا تقود سيارات ( الرالى ) ، وليست عضوًا فى فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن ( عبير ) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتها فى حياتى .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن ( عبير ) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما ..

ولهذا أرى أن ( عبير ) تستحق مكافأة صغيرة ...

ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقًا إذا ما حاق بها مكروه....

ولأن ( عبير ) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تختزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التى خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كى ترحل إلى ( فانتازيا ) ..

( فانتازيا ) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

( فانتازيا ) حيث كل شىء ممكن .. وكل حلم متاح ..

( فانتازيا ) جنة عاشقى الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع ( عبير ) .. سنضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى ( فانتازيا ) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته .. هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!..

لقد حان موعدنا مع الأحلام فى ( فانتازيا ) ..

★ ★ ★

# ١ - نقاط على حروف ..

ذكرنا آنفًا - فى الكتيب السابق - كيف أن ( شريف ) زوج ( عبير ) استشعر القلق ، فجهاز ( دى - جى - 2 ) لا يعمل على ما يرام .. ويوجد ما يدعوه إلى الاعتقاد أن أحلام ( عبير ) لم تعد مجرد أحلام .. ثم أثر مادى لاشك فيه ينجم عن كل حلم تمر به ..

لكن ( عبير ) تصمم على تجربة الجهاز مرة أخيرة بعد ما نام زوجها .. وتعود إلى ( فانتازيا ) ....

* * *

كل شىء روتينى كما اعتدناه .. لكن المؤلف أخبرنا بنقطة صغيرة لا تبدو ذات أهمية : ( عبير ) تجد حياتها السابقة جزءًا من معالم ( فانتازيا ) .. وهو ما لم تره من قبل فى رحلاتها الستَ السابقة .

هذه النقطة سنعرف أهميتها فيما بعد ؛ أما الآن فـ ( عبير ) راغبة فى استكشاف عالم الأساطير الإغريقية ...

وعلى الفور تصير ( عبير ) هى ( برسفونى )

الحسناء ؛ التى تلهو فى المرج مع أترابها ، وتقطف الزهور لتصنع منها تاجًا ...

وعلى الفور - كذلك - نتعرَف أطرافًا من هذا العالم الساحر ، مثل قصة ( نركيسوس ) الذى هام حبًا بصورته فى النهر .. و ( أدونيس ) الذى راحت ( فينوس ) تطارده حتى استسلم لغرامها .. والتحدى الرهيب بين ( أبوللو ) و ( كيوبيد ) .. مما دفع الأخير إلى إيقاع الأول فى حب حسناء لا تطيق رؤيته ، هى ( دافنى ) ..

كل شىء كان يشى بعالم ساحر هو كالحلم أو أرقّ ...

لكن قدوم ( بلوتو ) مع زبانيته يفسد الأمور ..

لقد جاء الشيخ من مملكته ( هيدز ) - مملكة الموتى - ليبحث عن عروس شابة تؤنس وحدته الأبدية ...

ومن تظنونه قد اختار ؟

بالطبع وقع اختياره على ( برسفونى ) الحسناء ، أعنى بالطبع بطلتنا ( عبير ) ..

وبرغم صراخها يحملها ( شارون ) الرهيب - تلميذ الجحيم - إلى الطوف ليعبر بها أنهار الآخرة المظلمة ،

خاصة نهر ( ستيكس ) ، قاصدًا مملكة الموتى ( هيدز ) ..

إن أيامًا مريرة قاسية تنتظرها هناك ، دون أن يعزيها أن تعرف أن ( دمتير ) أمها قد قلبت الأرض بحثًا عنها ، وحرمت البشر من رونق الربيع عقابًا لـ ( زيوس ) على خطف ابنتها ..

مغامرة قصيرة رقيقة خاضتها مع عازف القيثار المفنّ ( أورفيوس ) الذى جاء ( هيدز ) بحثًا عن زوجته الحبيبة التى اخترمها الموت ..

إنها أسطورة جميلة لكنها لا تخدم سياق القصة كثيرًا .. لهذا يمكننا أن نمرّ عليها مرّ الكرام ..

يهمنا هنا أن ( دمتير ) قصدت قصر ( زيوس ) وزوجته الأريبة ( حيرا ) لتطالبهما بالبحث عن حل .. فهى الآن واثقة من وجود ابنتها عند ( بلوتو ) فى مملكته المظلمة ...

والحل ؟ لا حل لأنه لا يوجد بطل إغريقى متفرغ فى الوقت الحالى ..

وهنا يظهر ( بيرياسوس ) الفارس الكريتى الوسيم مفتول العضلات ..عارضًا خدماته لأنه يحبّ ( برسفونى ) .

وتقبل الأم لأنه ـ على حدّ قولها ـ سيكون أفضل لها من الموت ..

* * *

خدعة بارعة يتسلل بها ( بيرياسوس ) إلى ( هيدز ) منتهزًا فرصة خطأ روتينى وقع فيه ( شارون ) المنهمك دومًا ...

لكن أمره يفتضح على كل حال ، ويوشك رجال ( بلوتو-) أن يفتكوا به ....

وهنا تتدخل ثقة ( بلوتو ) بنفسه .. وباستحالة الفرار من قبضته ، ويجد نفسه مدفوعًا إلى تقديم عرض للفتى ـ الذى بدأ يروق له ـ يتلحض فى مواجهة عشرة أخطار إغريقية من التى تزخر بها كتب الأساطير ..

فلو ظل والفتاة حيين بعد هذا كان له أن يسترد الفتاة ..

بالطبع قبل ( بيرياسوس ) .. فليست الخيارات وافرة أمامه ..

* * *

## (١) المارد ( أنتيوس ) :

بعد لقاء قصير مع ( السنتور ) معلم الأبطال الذى

لـه نصف رجل ونصف حصان ، يعرفـان مـن هـو ( أنتيوس ) هذا ..

ويبدأ صراع غير متكافئ بين المارد وبطلينـا .. يوشك أن يكون حاسمًا لولا أن لاحظ ( بيرياسوس ) أن المارد يعتمد على ثبات قدميه فوق الأرض ، أمّـه التى يستمد قواه منها ..

وبحيلة بسيطة ينجحان فى رفع قدميه عن الأرض لتخور قواه ، ويقضى نحبه حالاً ..

ويذهبان إلى أعمدة (هرقل) ليقابلا ( أطلس ) المنهمك فـى حمل الأرض فوق كتفيـه .. وهنـاك يخبرهمـا أن مهمتهمـا التاليـة هى تحريـر أخيـه (برومثيـوس ) .. ويقدم لهمـا الحصـان المجنـح ( بيجاسوس ) ليحملهمـا إلى القوقاز ....

## (٢) تحرير ( برومثيوس ) :

( برومثيوس ) المربوط إلى جبلين عقابًا لـه على سرقة النار من ( الأوليمب ) كى يهديها للبشر .. مشكلة هذا العقاب هى أن الرخ يأتى يوميًا لميزق كبد البطل ثم ينصرف .. وفى الليل ينبت لـه كبد جديد وتتكرر المأساة ..

لكن ( بيرياسوس ) ينجح فى حرق الرخَ حيًا بحيلة ماكرة ..

ويجيء دور العمل البطولى الثالث ...

*(٣) الهيدرا :*

هذه المرة يخبرهما ( شارون ) وهو يمشى مع حشد من الموتى أن مهمتهم هى القضاء على ( الهيدرا ) ؛ الأفعوان الأرقم برءوسه السبعة والذى يعيش فى المستنقعات ..

تبًا ! إن قتل ( الهيدرا ) مشكلة لأن كل رأس من رءوسها ينبت سبعة رءوس بدوره إذا قُطع !

لكن ( بيرياسوس ) يجد الجواب .. والجواب هو كىَ منبت كل رأس بعد بترها بالنار ..

لقد كانت لحظات رهيبة ، وكدنا نفقد بطلتنا ( عبير ) بين أنياب ذلكم الوحش الكابوسى ..

لكنهما نجحا فى القضاء عليه برغم كل شىء ...

وفى طريق العودة يلقاهما ( ديدالوس ) محلقًا مع ولده بأجنحة من شمع ، ويخبرهما أن مهمتهما التالية هى القضاء على سبع ( نيميا ) الرهيب ...

ونترك بطلينا فى لحظة المواجهة العصيبة مع

السبع ، وقد أيقن ( بيرياسوس ) أن حسامه ليس معه .. اختفى بالقدرة التى عادا بها من ( هيدز ) ..
فماذا عساه أن يفعل ؟

* * *

أنتم تعرفون الآن ما أعرفه بالضبط عن هذه القصة ، ولا أرى ما يمنعنا من البدء فى استكمال الأحداث حالاً ...
اقلبوا الصفحة وكونوا حذرين ....

* * *

# ٢ ـ أبو أسامة !

أرجو هنا ألا أثير حنق آباء الفتية المدعوين ( أسامة ) .. فأنا لا أتحدث عنهم لكنى أتحدث عن الأسد .. إن للأسد أسماء عديدة فى لغتنا الجميلة ، ويقولون إن كثرةَ الأسماء تدلّ على شرف المُسمَّى .. يحضرنى منها : الليث ـ الغضنفر ـ أسامة ـ السبع ـ القسورة ـ الضرغام ـ .......... إلخ .

نحن الآن فى ضيافة سبع ( نيميا ) الرهيب ..

بالطبع كان هذا الوحش يختلف عما عداه من الوحوش ، فقد كان ضخم الحجم إلى حدّ مروع يفوق أضخم الأفيال ..

وكان الشرر ينبعث من حدقتيه الحمراوين ، وبين أنيابه ترقد المنون ، وزئيره يدوى فى الغابة كبركان يقذف حممه ...

ووجد ( بيرياسوس ) نفسه يتراجع إلى أن سدّت الطريق عليه وعلى ( عبير ) شجرة عملاقة ..

إن الإغماء لرحمة فى هذه الأمور .. إغماءة بسيطة

بعدها ينتهى كل شىء دون ألم ولا تمزيق لحم .
لكن الإغماء ظل عزيز المنال للأسف .. كل شىء ظلَّ واقعيًا مريرًا قاسيًا ..
صاح فيها وهو يزيحها بذراعه القوية :
- « تراجعى ! سأتولى أمره .. »
- « تعنى : يتولى هو أمرك ! »
- « اصغى لما أقول .. »
كان أعزل تمامًا بعدما اختفى سيفه فى ظروف غامضة .. ولم تكن مواجهة حائط العضلات والأنياب والمخالب هذا ممكنةً بيد عارية ..
الوحش يتقدم فى تؤدة مصدرًا هذا الزئير الواثق المنذر بالويل .. لا داعى للسرعة .. كل شىء سيتم بسهولة تامة ...
ووثب الأسد ....
لكن ( بيرياسوس ) رمى بنفسه على الأرض ..
وشعر بالدبابة الحية تطير فوق مستوى رأسه .. فنهض على قدميه يتأهب للهجمة التالية ..
كان هناك جذع شجرة مدبب على الأرض على بعد خطوات منه .. لو كان باستطاعته فقط أن ....

الوثبـةَ التـاليةَ ! لكن ( بيرياسـوس ) التقط الجذع ودَس الطرف المدبب حتى نهايته فى فم الأسد ...

شعر باللحم يتمزق داخل حلق الوحش وحول كفيه هو .. لكنه تشبث بعناية بالجذع ..

ثار الأسد ورفع الجذع - و ( بيرياسوس ) يتعلق به - وراح يطوّح به ذات اليمين وذات اليسار .. لكنه كان يزيد توغله فى حلقه فى نفس الوقت .. وراحت الدماء تسيل ....

كان ( بيرياسوس ) يعرف أن لحظة خـروج الجذع من فم الأسد هى لحظة النهايـة .. ستكون غضبـة الوحش كغضبة الطبيعة ذاتها .. كالإعصـار أو السيل تودى بالجميع ويستحيل إيقافها ..

لهذا راح يزحف فوق الجذع حتى وصل إلى رأس الليث .. وبوثبة واحـدة ركب فوق رأسه .. وتشبث بالشعر الكث الخشن المكون للبدته ..

كان هياج سبع ( نيميا ) مروعًا .. زئيره المخنـوق يـدوى فى أرجاء الكون .. ورأسه يهتز فى تشـنج يمينًا ويسارًا محاولاً إسقاط راكبه .. كتلة العضلات الحية ترقص رقصة الجنون ...

مدّ ( بيرياسوس ) جسده ليمتطى رأس الحيوان .. ردفاه ما بين العينين الناريتين .. وبأنامله تشبث بالفك العلوى للأسد من الناحيتين .. وراح يجذب .. يجذب ..

لقد استعمل ( هرقل ) ذات الأسلوب .. لكن حجم ( هرقل ) يسمح بهذا .. أما ها هنا فالأمر مرهون بقوة ( بيرياسوس ) وصلابته وعدوانيته ..

عضلات ساعديه توشك على التمزق لكنه يقاوم .. يحاول أن يفتح الفك العلوى إلى أقصى حدّ ممكن .

وفى النهاية أحسّ بالفك يستجيب .. وسمع صوت تمزق اللحم والعضلات .. ومن فم أسد ( نيميا ) سال شلال من الدماء ...

وثب ( بيرياسوس ) من فوق الرأس إلى الأرض .

واحتضن الجذع بكل عضلة فى جسده محاولاً إيلاجه أعمق وأعمق داخل حلق الوحش ...

لا داعى - إذن - لوصف رقصة الموت التى رقصها أسامة .. ولا لوصف زئيره المروع .. والأشجار التى اصطدم بها فأسقطها .. والدماء التى سالت منه فأغرقت الأرض ..

إن هذا المشهد لا يمكن وصفه إلا باستعمال الخيـال أو كاميرا فنان ..

الخلاصة أن أسد ( نيميا ) تخاذل وهوى أرضًا ..

وانتفض ثلاث أو أربع مرات ثم همد نهائيًا ..

وتهرع ( عبير ) إلى ( بيرياسوس ) الذى وقف يلهث ، والدماء تغرقه لا تدرى - ولا يدرى هو نفسه - هل هى دماؤه أم دماء الأسد .. للمرة الرابعة ينتصر ( بيرياسوس ) العظيم ...

( بيرياسوس ) الذى لا يملك السحر ولا هو عملاق مثل ( هرقل ) ولاتوازره آلهة الأوليمب مثل ( بيرياسوس ) ..

إنه بطل أبطال الإغريق دون مراء ...

- « أنت رائع يا ( بيرياسوس ) ؟ »

- رائع فحسب ؟ أنا مذهل .. أسطورى ! »

- « ومتواضع كذلك .. »

- « إننى قدوة للشباب عبْر العصور .. »

ثم تحسس نطاقه .. وابتسم ..

- « ماذا هنالك ؟ »

- « لا شىء .. لقد عاد سيفى إلى مكانه ! إن ( بلوتو ) يعترف لى بهذا النصر .. »



الخلاصة أن أسد (تيميا) تخاذل ، وهوى أرضًا . .

ثم تنهد فى إنهاك :

ـ « إنه النصر الخامس .. »

ـ « الرابع ! أنت معتوه فيما يتعلق بالأرقام .. »

ـ « الرجال نوعان : عضلات بلا عقل .. وعقل بلا عضلات .. ولو كنت بحاجة إلى النوع الأخير فعليك باصطحاب د. ( رفعت إسماعيل ) بدلاً منى ! »

ـ « آه ! إننى أفضل أن أكون معك حتمًا ! »

* * *

فترة طويلة مرت منذ مغادرتهما لغابة ( نيميا ) ؛ وهما يتوقعان فى كل لحظة أن يتصل بهما الأخ ( بلوتو ) بشكل ما لإبلاغهما بمهمتهما الجديدة ...

بدأ ( بيرياسوس ) يشعر بالملل .. وكذلك هى ... ورفعت رأسها إلى السماء ترمق الأفق المتلألئ بين ذوائب الأشجار ..

ثُمَّة سرب من الطيور يعبر الفرجة قاصدًا مأواه .. مشهد طبيعى رائع ، ولكم تمنت لو ترى شيئًا واحدًا طبيعيًا فى هذا العالم ..

لكن شيئًا ما فى تلكم الطيور أثار دهشة ( عبير ) . أثار دهشتها .. فتوجسها .. فذعرها الصريح ..

إن هذه الطيور اللطيفة لها رءوس آدمية كاملة التكوين !

ورأت طيرًا منها يهبط أكثر فأكثر .. ويحوم حول رأسيهما وهو يرمقهما بعينين فضوليتين وضحكة وقحة .. كأنما أحد الرعاع يتحرش بها في الزقاق الذى تسكنه في عالم الواقع ..

أمسكت بذراع ( بيرياسوس ) العضلية .. وفي ذعر هتفت :

- « الويل ! ما هذا المسخ ؟! »

قال بلا مبالاة وهو يتأمل السرب :

- « آه .. هذه هي ( الهاربيز ) .. ألعن وأخبث طيور في الأساطير الإغريقية .. كانت تعيش في ( تراقيا ) .. ومهمتها تنغيص عيش ملك أعمى يدعى ( فنيوس ) .. كلما حاول أن يلتهم شيئًا من الطعام اختطفته منه .. حتى كاد الملك يقضى جوعًا وظمأ .. ثم إن ( جاسون ) البطل العظيم استطاع أن يكسر شوكة هذه المخلوقات ، ويجندل منها عددًا لا بأس به .. ومن يومها فرت الطيور إلى جزيرة ( ستروفيد ) ..»

كان الطائر الوغد يدنو أكثر فأكثر من الموكب ...

وسمعته ( عبير ) يقول بصوت مشروخ مبحوح :
ـ « تحية يا ( بيرياسوس ) العظيم .. »
قال ( بيرياسوس ) فى سماجة :
ـ « تحية أيها الطير الدنىء .. »
قال الـ ( هاربيز ) وهو يواصل الطيران حولهما :
ـ « إن ( بلوتو ) يرسل لك تحياته وتهانيه .. ويقول لك : إن مهمتك الخامسة هى الحصول على نطاق ( هيبوليت ) .. »
ـ « اللعنة ! إن خيال الرجل لخصب .. »
قال الـ ( هاربيز ) فى تملق مقرف :
ـ « كلها مهام تليق بالبطل ( بيرياسوس ) .. هى هى هى ! »
ثم دار دورة أخيرة فى الهواء .. ولحق بالسرب الذى يحلق فيه إخوانه .. وما لبث أن غاب عن العيون ....
ـ « ما المشكلة فى هذا النطاق ؟ »
ـ « نطاق ( هيبوليت ) .. إنه أمر شديد التعقيد .. »
ثم إن ( بيرياسوس ) جلس على صخرة .. وراح يعبث بطرف سيفه فى الرمال شاردًا .. وقال :

- إن ( بلوتو ) يكلفنى بكافة الأعمال التى كلف بها ( هرقل ) .. المشكلة هى أن حجم ( هرقل ) كان يسمح بكل هذا .. أما أنا ... »

ثم أعاد السيف إلى غمده .. وقال :

- « إذن .. هيا بنا إلى ( الأمازون ) .. »

★ ★ ★

# ٣ - الشرسات ..

الآن يحلق ( بيجاسوس ) فاردًا جناحيه فوق الأمواج المتلاطمة لبحر الروم .. قطعة فريدة من الجمال والخيال ...

الهواء يصفر فى أذنى ( عبير ) .. لكنها تميل على أذن ( بيرياسوس ) هاتفةً بأعلى صوتها :

- « كنت أظن ( الأمازون ) على ضفاف نهر ( الأمازون ) .. »

- « أ .. آزون .. آف .. إيكا .. آنوبيَة ؟ »

- « ماذا تقول ؟ لا أسمع حرفًا .. »

رفع صوته ليزداد وضوحًا :

- « أقول : تعنين نهر ( الأمازون ) فى أمريكا الجنوبية ؟ »

- « نعم .. »

- « لا .. لقد سُمّى النهر نسبة إلى البلاد التى نقصدها .. »

كانت جزر المحيط الأطلسى قد بدأت تلوح لهما ..

ومن بينها جزيرة تحيط الأشجار بها على طول محيطها .. ودون أن تسأل ( عبير ) أدركت أن هذه هى الجزيرة المقصودة .. مثلما يمكنك أن تعرف من هو بطل الفيلم حتى لو كان الفيلم بلغة لا تعرفها .. إنه ذلك الشىء الذى لا يوصف والذى يسمونه أحيانًا ( كاريزما ) .. هذه الجزيرة تتمتع بقدر هائل من ( الكاريزما ) ولا مراء ...

وراح ( بيجاسوس ) ينحدر برشاقة فوق نطاق الأشجار .. ليلمس التربة الرملية قليلاً .. ثم راح يصهل ويصدر تلك الأصوات ( الأنفية ) التى تحب الخيول إصدارها دون مبرر .. على حين ترجل ( بيرياسوس ) وساعد ( برسفونى ) - ( عبير ) سابقًا - على الترجل ..

راحا يمشيان بين الأشجار يرمقان الساحل .. والأمواج تنتشر لتبلل وجهيهما من حين لآخر .. وصوت النوارس يدوى فى مسمعيهما مكررًا أن الأرض قريبة .. بعد فوات أوان هذه المعلومة طبعًا .

سألته ( عبير ) وهى تتأمل المكان :

- ما هو الخطر من هذه الجنة ؟

وقبل أن يردَ عليها ؛ كان هناك سهم غريب الشكل ينغرس فى جذع الشجرة .. على بعد سنتيمترين من عنقها !

قال لها وهو يتأمل السهم ، بريش الببغاوات الملون الذى ثُبِّتَ فيه لحفظ توازنه :

ـ « هأنتذى قد تلقيت الإجابة ! لو كانت إجابات الأسئلة بهذه السرعة لما أحس الناس بذرة حيرة ! »

ثم انتزع السهم وراح يديره فى كفه ، يتأمل دقة صنعه ..

صاحت ( عبير ) فى هستيريا وهى تجثو على ركبتيها :

ـ « معنى هذا أن هناك من يريد قتلنا ! »

ـ « حتمًا ! »

ـ « وهو يراقبنا الآن ! »

ـ « بالتأكيد ! »

ـ « إذن لماذا لا نتوارى ؟ »

تنهد فى صبر .. وأعاد تثبيت السهم فى جذع الشجرة .. وغمغم :

ـ نعم .. المفترض أن نتوارى .. ولكن أين ؟ من

الممكن أن يكون عدونا فى أى مكان .. ومن المؤكد أنه يبغى أسرنا أولاً وإلا كان فى وسعه أن يقتلنا فى أية لحظة الآن .. إنه يداعبنا فحسب .. »

تساءلت وهى تتلفت حولها ، متوقعة انغراس السهم التالى فى عنقها فى أية ثانية :

- « هـ .. هل ( هيبوليت ) هذا .. شـ .. شرير ؟ »

- « ليس ( هو ) بل ( هى ) .. وإذا كنت تجدين فى سلخ جلود البشر أحياء ، وفى سمل عيونهم وجدع أنوفهم شرًا .. فيمكنك اعتبار ( هيبوليت ) شريرة إلى حد ما ! »

- « ويْحى ! »

فى اللحظة التالية أيقنت ( عبير ) أن شيئًا ما يهوى فوق رأسيهما .. شيئًا له ألياف مجدولة ويشبه الشبكة عمومًا ..

إنها شبكة ! شبكة صيد ثقيلة ألقيت عليهما ليتخبطا فيها كوحشين كاسرين تم أسرهما ..

راح ( بيرياسوس ) يطوح بسيفه يمينًا ويسارًا فى عشوائية مقيتة محاولاً تمزيق هذا الشرك ...

وراحت ( عبير ) تتلمس الأطراف ، محاولة أن

تجد نهايةً لهذه الشبكة اللانهائية .. لكن سُدى ...

فى اللحظة التالية أدركت أن هناك عشرات الرماح مسددةً نحوهما .. وأن عددًا هائلاً من المحاربين يحاصرهما .

كانوا يرتدون خوذات عاليةً لها شكل رءوس الحيوانات ، وتغطى رءوسهم بالكامل ..، وقد ذكرها منظرهم بمحاربى ( إسبرطة ) القديمةَ الذين كانت تراهم فى الصور ...

ـ « اللعنة ! » ـ قال ( بيرياسوس ) ساخطًا ـ « لقد صرنا تحت رحمتهم تمامًا ! »

دنا واحد من هؤلاء المحاربين منهما ..

كان يحمل مذراة ثلاثية مدببة ، يوجهها نحوهما .. وعلى رأسه رأت ( عبير ) أضخم الخوذات وأكثرها أناقة .. إذن هو القائد ..

خلع المحارب خوذته .. ولهث فى طلب الهواء ..

إنه ليس محاربًا .. بل محاربةً ! امرأة بارعة الجمال ذات شعر أسود فاحم يغطى كتفيها .. وقد راحت تطوحه يمينًا ويسارًا لتحرره ..

ثم بصوت آمر واثق من نفسه صاحت :

- « لا جـدوى من المقاومـة .. أنـا الضابطـة ( إينياس ) منْ جيش ( الأمازون ) العظيـم آمركمـا بالاستسلام حقنًا للدماء .. »

وبإشـارة حازمـة ارتفعـت الشبكة عـن الأسـيرين اللذين وجدا نفسيهما يقفان فى مركز أربعين رمحًا .. وحتى ( بيرياسوس ) لن يستطيع مقاومة هذا الحشد .. ربما احتاج الأمر إلى بطل أحد أفلام ( الكونـج فو ) الذين يقتلون وحدهم ثمانين مهاجمًا دون مشكلة ..

وتقدم المحـاربون ليربطوا يـدىْ ( عبير ) وراء ظهرها .. وكادوا يفعلون مع ( بيرياسوس ) لكن الأخ - أعنى الأخت - ( إينياس ) رفعت يدها فى سأم .. وبلهجة عملية قالت :

- « لا .. ليس هذا .. استعملوا دعامة خشبية ! »

وهكذا .. يجد ( بيرياسوس ) نفسه مربوطًا بطريقة فريدة تشبه أسلوب ( الفلكـة ) .. فرأسـه وقبضتـاه تخرج من ثلاث فتحات فى لوح خشـبى سميك يحملـه علـى كتفيه .. وقد ربط اللـوح إلـى ساقيه بسلاسـل حديدية غلاظ .. ولمسـة من حدّ السيف إلـى مؤخرتـه تجبره على السير وسط هذا الحشد الفريد من نوعه ..



وهكذا .. يجد (بيرياسوس) نفسه مربوطا بطريقة فريدة تشبه أسلوب (الفلكة) ..

تساءلت ( عبير ) فى قلق وهى تمشى جواره :
ـ « من هم ؟ وإلى أين نذهب ؟ »
قال ( بيرياسوس ) وهو يئن من ثقل الخشب :
ـ « هن نساء الأمازون .. المحاربات اللواتى نبذن الرجال وأنشأن مجتمعًا قويًا لا رحمة فيه ولا مكان لرجل .. ومن حين لآخر يقمن بغزو البلدان المجاورة وسلبها وذبح رجالها .. »
ـ « وما معنى ( أمازون ) ؟ »
احمرَّ وجهه حياءً .. وحاول تغيير الموضوع .. لكنها أصرت .. فقال لها :
ـ « ( أمازون ) تعنى ( امرأة بلا صدر ) .. كانت نساء هذا المجتمع يزلن صدورهن حتى لا تعوقهن عن رمى السهام .. لم يعد هذا يحدث لكن التسمية باقية .. »
احمرَّ وجهها بدورها .. وصاحت فى حنق :
ـ « كيف تجرؤ على هذا الكلام أمامى ؟! »
ـ « أنت أصررت على معرفة ما لا تسرك معرفته .. »
ـ « ولكن .. ليكن .. من هى ( هيبوليت ) هذه ؟ »

★ ★ ★

( هيبوليت ) ملكة ( الأمازون ) ، وقائدة جيوش النساء ..

( هيبوليت ) التى تجلس على عرش شامخ تحيط به المشاعل ، فى ظلّ سنديانة عملاقة عجوز ...

( هيبوليت ) التى تحكم هذا المجتمع حيث البقاء للأقوى .. لهذا لنا أن نعرف أن حاكمته هى أقوى النساء وأذكاهن وأجملهن ...

كانت تجلس على عرشها بثقة واستهتار معلنة عن قوة لا تحتاج إلى اختبار ..

وكانت جميلة ذلك الجمال المرهق .. الجمال الذى يغدو النظر إليه كالنظر إلى الشمس اللاهبة .. مؤذ للعينين ومنهك ..

وفى قبضتها كانت هناك هراوة ضخمة تنذر بتهشيم الرءوس .. وهى تستعملها فى الكلام بسلاسة كما نستعمل نحن قلمًا أو لفافة تبغ فى محادثاتنا ....

وكان ذراعاها محاطين بالحلى الذهبية الغليظة .. بعضها على شكل أفاع .. وبعضها على شكل تماسيح .

وفى يدها الأخرى كانت هناك قطعة كبيرة من اللحم النيئ - فخذ حيوان برى غالبًا - تتسلى بقضم قطع

منها فى أثناء الحديث .. فكان الدم يسيل على شفتيها وعنقها طيلة الوقت !

راحت ( عبير ) ترمق هذا المعسكر المريع ، وهى تشعر بشعر رأسها ينتصب من هول وغرابة المكان .

ومن حولها راحت المحاربات ينتزعن خوذاتهن ، كاشفات عن وجوه لا تقل جمالاً عن وجه الضابطة ( إينياس ) .. لكن نظراتهن كانت جامدة ميتة .. وفى وجوههن قسوة وفتور لا يمكن وصفهما ...

وكن يتأبطن الخوذات إلى خصورهن كما يفعل أبطال سباق الدراجات البخارية قبل بدء السباق ...

موسيقا آتية من مكان ما .. وحول النار يرقص رجلان بدت التعاسة على وجهيهما !

نعم .. ففى مجتمع النساء القويات هذا يفعل الرجل ما تفعله المرأة فى مجتمع الرجال الأقوياء !

أشارت ( هيبوليت ) بإصبع واحد إلى الأسيرين كى يدنوا ..

وفى لهجة تقريرية رسمية قالت الضابطة وهى ترفع كفها :

- « تحية يا ( هيبوليت ) .. هذان متسللان وجدناهما

على الشاطئ .. وقد لمحهما ( الناضورجى ) الخاص بالساحل الغربى .. »

ـ « مرحى يا ( إينياس ) .. مرحى .. »

ثم تأملت الأسيرين .. وغمغمت :

ـ « هذا رجل قوى .. رجل خطر .. أما الفتاة فضحيَّة بائسة أخرى لطغيان الرجال .. دعينا نر .. يمكننى أن أتخذ الفتاة جارية لى وهذا لأننى استبعد أن يصلح جسدها الهشّ لتعلم القتال .. أما الرجل .. فأرى أن نقطع رأسه حالاً ! »

فى كبرياء نفش ( بيرياسوس ) صدره العريض .. وهتف :

ـ « أنا المحارب ( بيرياسوس ) من ( كريت ) .. جئت ها هنا كى أتحداك يا ( هيبوليت ) .. فلا تجلبى سخطى ! »

مالت ( هيبوليت ) فى دهشة يمازجها الاستمتاع ، لترتكز بمرفقها على فخذها تتأمل الأسير بفضول ..

ثم قالت ضاحكة :

ـ « وكيف لا أجلب سخطك ؟ »

ـ « أنا مكلف من ( بلوتو ) شخصيًا بالحصول على منطقتك ! »

- « منطقتى ؟ »

ولا شعوريًا مرت بيدها على منطقتها .. منطقتها التى ازدانت بالحلى والمجوهرات ، وفى وسطها نقش جميل لطاووس ينفش ذيلة ..

قالت بنفس اللهجة :

- « أصاب ( بلوتو ) .. فهى منطقة بديعة حقًّا .. ولكن .. لنفترض لحظة أننى لن أعطيها لك ، فماذا يكون ؟ »

قال أمام نظرات ( عبير ) المذعورة :

- « عندئذ هى الحرب .. الحرب الضروس التى لا تذر .. »

انفجرت تضحك فى توحش .. ومعها ضحكت محارباتها .. مرة أخرى يتكرر موقف ( ماتقدرش ) الشهير الذى جعل ( بلوتو ) عاجزًا عن التصرف مع ( بيرياسوس ) من قبل ... استحال ضحكها سعالاً .. فهرعت إحدى المحاربات تقدم لها كأسًا ذهبية .. جرعتها وتجشأت ..

ثم قالت وهى تعود إلى الاسترخاء :

- « اربطوه إلى عمود .. وارفعوه عاليًا وأحرقوه ..

أريد أن يضىء لنا هذه الليلة البديعة .. »

صاحت ( عبير ) فى هلع وهى تستعطف الضابطة :

ـ « اسمعى يا ( إيناس ) يا أختى .. أنا .... »

ـ « اسمى ( إينياس ) .. »

ـ « إن لى ابنةَ عمٍّ تدعى ( إيناس ) وتشبهك كثيرًا .. نحن ... »

لم تكمل عبارتها لأن ( بيرياسوس ) هوى بلوح الخشب الذى على كتفيه فوق عنق الضابطة .. ثم مال يسارًا ليهوى فوق عنق حارسة أخرى .. و .. انطلق كالطوفان يركل هذه ويضرب هذه .. كل هذا ويداه مكبلتان إلى لوح الخشب حول عنقه ...

بعد ثوان تكومت أجساد ـ ربما جثث ـ عشرين من المحاربات .. وكاد ( بيرياسوس ) يواصل الحرب .. لولا أن عشرات الأقواس والسهام سددت نحوه من الجهات الست ....

وفى حزم هتفت الملكة :

ـ « توقف يا ( بيرياسوس ) وإلا تحولت زميلتك إلى شبكة لصيد الأسماك العملاقة ! »

عندها تصلب الإعصار البشرى ( بيرياسوس )

يلهث .. كان العرق ينحدر على عضلاته فتلتمع فى ضوء المشاعل .. الكمال الجسدى الرجولى كما ينبغى أن يكون .. لكنه عاجز عن التحرر ..

قالت الملكة فى رصانة :

- « إن هذا المحارب شجاع .. لم يرتجف هلعًا ويبلل سرواله ككل أسرانا من الرجال .. خذوه إلى القفص الحديدى إذن .. »

ومشى ( بيرياسوس ) كأسد حبيس ، والنبال مصوبة إلى جسده .. بينما انبرت الملكة إلى ( عبير ) قائلة :

- « أما أنت يا بائسة .. قلت لى ما اسمك ؟ »

- « ( بيرسفونى ) .. »

- « لا بأس .. سيفكون قيودك .. ويأخذونك إلى خيمتى .. »

ثم أشارت إلى الراقصين الرجلين اللذين فقدا الوعى ذعرًا :

- « خذا هذين الجبانين إلى خيمة الإماء .. إن رقصهما ردىء جدًا .. ما هى مهنتهما ؟ »

- « إنهما ينظفان حظائر الثيران يا ( هيبوليت ) ! »

قالتها إحدى المحاربات وهى تركل جسديهما فى اشمئزاز ..

قالت ( هيبوليت ) بنفس الاشمئزاز :
ـ « هذا طبيعى .. إنهمـا يرقصان كأنمـا يواصلان تنظيف الحظائر .. »
ثم قضمت قطعة أخرى من اللحم النيئ .. وقالت وهى تنهض :
ـ « والآن سأعود إلى خيمتى .. »
ـ « والمحارب يا ( هيبوليت ) ؟ هل نفقأ عينيه ؟ »
ـ « أوه لا .. سأفكر له فى عقاب أكثر إيلامًا .. »
...............
وغادرت المجلس ......

* * *

# ٤ - المفترسات ..

بدأت ( عبير ) تعتاد حياتها الجديدة كجارية لدى ملكة ( الأمازون ) ..

كان عليها أن تمشط شعر ( هيبوليت ) وتغسل قدميها - ويا له من عمل ! - وتعد لها السلاح والثياب ، وتعدّ حمامها - الذى تستعمله نادرًا - وتقدم لها الشراب ، وتذوق الطعام قبل أن تذوقه هى حتى لاتتسمم ..، وتغنى لها ليلاً .. و .... بعد هذا كان الوقت كله ملكها !

رأت ( عبير ) لمحات من هذا المجتمع .....

إن ( الأمازون ) تضمّ كل النساء والفتيات الهاربات من طغيان الرجال ، يفعمهن الحقد والمقت ..

وكانت النسوة يحملن حين يتزوجن الرجال الأسرى .. فإذا جاءت الذرية ذكورًا أخذنهم إلى النهر حيث يتبناهم فلاحو القرى المجاورة .. وإذا جاءت الذرية إناثًا أبقينهن فى القبيلة ..

وتخضع الفتيات لتربية صارمة على يد العجائز ...

ليلَ نهارَ تحدثهن العجائز عن قبح الرجال .. وظلم الرجال .. وأنانيـة الرجـال .. وتوحّش الرجـال .. وقذارة الرجال .. وسماجة الرجال .. وجبن الرجال .. وغباء الرجال .. وأى شىء مشين يمكن نسبته للرجال .

بعد هذا يأتى دور المحاربات اللواتى يعلمن الفتيات أصول القتـال .. ويتخذن نموذجًا هو واحـدة منهـن تضع لحيةً وشاربًا .. وكذلك الدمى التى صممت لتبدو كرجال أقرب إلى الخنازير ..

وتعيـش الفتيـات حيـاة مـن القسـوة والعنـف .. ويخضن أعنف التدريبات .. وتتم تغذيتهن بوجبات منتقاة من اللحم واللبن وغذاء ملكات النحل ...

بعد هذا تتحول الفتاة إلى آلةً لتدمير الرجال ...

آلةً بلا مشاعر سوى الحقد والمقت ...

* * *

كان ( بيرياسوس ) يمضى الأيام فى قفصه كوحش كاسر .. يقدم لـه الطعام والشراب ؛ وتـأتى النسـاء لرؤيته باعتباره من الطرائف ..

ولم تكن الملكة مسرورةً من هذا .. فـ ( بيرياسوس ) بوسامته ووجهه القسيم ليس هو النموذج الأمثل الذى

تتعلم النسوة به مقت الرجال .. لم تعد تدرى ما ينبغى أن تفعل به ..

فهو خطر ولا يمكن إطلاق سراحه تحت أية ظروف .

وثمّة شىء فى موضع من فؤادها يمنعها من قتله فى الحال ..

هل تتركه إلى الأبد ها هنا ؟ هذا عسير ..

* * *

بدأت صداقة من نوع ما تنمو بين ( عبير ) والنساء .. وقد أدركت أن المرأة هى المرأة حتى لو كانت تقطع الرقاب عندما تشعر بالملل .. وقد سألتها النسوة عن ثوبها .. من أين جاءت بهذا ( البليسيه ) ومن أين حصلت على هذه الزهور المطرزة ؟

وسألتهن ( عبير ) عن جمال بشرتهن وسبل العناية بشعرهن .. وعلمتهن كيف يطهين الدجاج المتبّل بالبصل .. وعلمنها كيف تعد حساء الثعابين .. وكيف تخرج أحشاء القنفذ قبل سلقه ..

علمنها ـ كذلك ـ الرماية بالسهام .. حتى صار بوسعها أن تصيب عين حدأة تحلق فى السماء على ارتفاع مائة متر ..

وتعلمت أساليب المصارعة العجيبة التى يجدنها .. ففى وسع محاربة ( الأمازون ) أن تهشم أعناق ثلاثة رجال يهاجمونها فى آن واحد .. رجال عاديين طبعًا لا من عينة ( بيرياسوس ) !

وتلقت - فى الأمسيات الهادئة - دروسها الأولى فى كراهية الرجال .. وسمعت من القصص المريعة ما يفوق ما سمعه قاضٍ فى محكمة الأحوال الشخصية فى زماننا ..

قلن لها : كل الرجال أشرار أنانيون شهوانيون قذرون مستغلون متظرفون مدّعون منافقون كاذبون .

تحركت فى نفسها النزعة العنصرية إياها ، وبدأت تتذكر كيف كان يحق لأخيها الذكر كل شىء .. يخرج متى يشاء ويعود متى يشاء ويأمر بما يشاء .. وبعد كل هذا يأخذ قطعة أكبر من قطعتها من اللحم فى يوم الخميس ..

لماذا ؟ لأنه ولد !

وفى أيام التنظيف وأيام الغسيل وأيام صنع الكعك ، كانت تغرق فى العمل كالعبيد مع باقى نساء الأسرة ، على حين يخرج هو للنزهة مع رفاقه ...

لماذا ؟ لأنه ولد !

كانت ( عبير ) ستغفر له الكثير لو عرفت حجم الجهد والمعاناة اللذين بذلهما من أجل أن يخلق ولدًا .

لكنه لم يبذل شيئًا .. اختارت له الأقدار هذا الشرف في مجتمع لايغفر للمرأة كونها امرأة ...

كان كلامهن يلقى أرضًا خصبة معدة للحقد في روحها ..

وكان دمها يغلي تدريجيًا ..

ثم تتذكر ( شريف ) الوديع الرقيق الذي لم يؤذها قط .. عندها كانت تتراجع قليلاً ، وتردد وقد أدركت أنها بالغت نوعًا :

- « ليسوا جميعًا أوغادًا .. لنقل إن ٩٩٩٩و٩٩٪ منهم أوغاد .. فالباقون لا خلاق لهم لكنهم ليسوا أوغادًا ! »

وهكذا تمضي أيامها في ( الأمازون ) ...

★ ★ ★

فرغت ( هيبوليت ) من تعبدها أمام تمثال ( هيرا ) ، فعادت إلى فراشها وقشرت إصبعًا من الموز قذفت به عبْر قضبان السجن إلى الأسير ( بيرياسوس ) .. وقشرت واحدًا لنفسها ..

سألها ( بيرياسوس ) غير عابئ بما ألقته له :

- « أنتم تتعبدون لـ ( هيرا ) بالذات ؟ »

قالت وهى تريح حربتها إلى الجدار ، وتفك نطاقها :

- « لم لا ؟ المرأة قوية الشخصية ، التى تسيطر سيطرة تامة على زوجها ( زيوس ) .. إنها تستحق احترامنا وعرفاننا .. »

ثم اتجهت إلى القفص وتأملت أسيرها مليًا :

- « ( بيرياسوس ) .. أنا مستعدة لإطلاق سراحك .. فأسير نبيل مثلك لا ينبغى أن يعامل كالببغاوات المتكلمة .. ولكننى سآخذ منك وعدًا بألا تهرب وألا تحاول سرقة منطقتى .. »

قال فى سأم :

- « للمرة الثالثة تكررين العرض وأقول إننى لن أعد بشىء .. »

صمتت قليلاً مفكرة ..

ثم قالت وهى تريح رأسها على قضبان القفص :

- « حقًا أنت خصم شريف .. يمكنك أن تنجو بالكذب لكنك لا تفعل .. لهذا يتغلب كرمى الطبيعى وأجدنى مدفوعة إلى أن أمنحك فرصة أخيرة .... »



ثم اتجهت إلى القفص وتأملت أسيرها مليًا :

- (بيرياسوس) .. أنا مستعدة لإطلاق سراحك ..

ـ « قدمى عرضك يا ( هيبوليت ) .. »

قالت وهى تتفحص سيفها المعلق على الجدار :

ـ « عراك بيننا .. الحياة أو الموت .. أنا وأنت فقط .. فإن ظللت حيًا أخذت فتاتك البلهاء والمنطقة .. وإن متَ عدت إلى ( بلوتو ) وحدك .. »

قال محنقًا :

ـ « أتحسبين ( بيرياسوس ) يوافق على قتال امرأة ؟ »

فى كبرياء الملكات شمخت بأنفها :

ـ « لست امرأة عادية .. أنا ( هيبوليت ) ملكة ( الأمازون ) وهذه إرادتى .. فإن لم ترضخ ذبحنا فتاتك المذعورة البلهاء كالخراف .. »

صمت ( بيرياسوس ) برهة .. ثم غمغم فى استسلام :

ـ « ليكن .. سأوافق إذن .. »

* * *

( هيبوليت ) ! ( هيبوليت ) !

ترددت الصيحات النسائية الغليظة من الحناجر .. كان اعتياد هؤلاء النسوة على الصوت الخشن قد جعل

حناجرهن بارزة ، على ذلك النمط المميز للرجال والمدعو ( تفاحة آدم ) ..

وطارت الرماح فى الهواء .. وبأقدامهن راحت النسوة يضربن الأرض مرارًا وتكرارًا ....

الملكة تتقدم من تمثال ( هيرا ) تدعو للنصر .. ثم تضمخ وجهها وعنقها بأصباغ حمراء من دهن الخنزير .. وتشرب من وعاء يحوى لبن الماعز المختمر ...

حول النار ترقص بعض الفتيات ملوحات بالرماح ، وهن يصرخن كالهنود الحمر ..

الكاهنة تتقدم من الملكة لتتلو عليها بعض العبارات بلغة غير مفهومة .. ثم تهتف بشعار ( الأمازون ) :

- « الموت للشوارب ! »

- « الموت للشوارب ! »

- « الويل للتستوسيترون والمجد للاستروجين ! »

- « الويل للتستوسيترون والمجد للاستروجين ! »

والأول - إن كنت لا تعلم - هو هرمون الذكورة .. والثانى هو هرمون الأنوثة .. أما عن معرفة هؤلاء المحاربات البدائيات بفسيولوجيا الغدد الصماء فأمر

يمكن فهمه .. ألسنا فى ( فانتازيا ) ؟!

ومن وراء الصفوف وقفت ( عبير ) متوترة تقضم أصابعها ـ لأن أظفارها قد انتهت ـ ترمق هذا المشهد الرهيب على ضوء المشاعل .. وعيناها على ( بيرياسوس ) الذى وقف يحاول الابتسام وسط إعصار الكراهية هذا ..

ورأت ( عبير ) الملكة تتقدم منه لتقف أمامه ، وتقول فى ثبات وهى تناوله سيفًا بتارًا :

ـ « يؤسفنى أن أراك ميتًا بعد عشر دقائق أيها المحارب الشجاع .. لكن هذا هو واجبى نحو شعبى .. »

وصمتت قليلاً وأبعدت عينها عنه .. وهمست :

ـ « .. ونحو نفسى ! »

لم تفت هذه العبارة ( عبير ) التى بدأت تدرك مدى حماقتها ..

أليست هى نفسها امرأة ؟ ألا تعرف أن مقت المرأة أحيانًا يعبر عن أعمق درجات الحب ؟!

إن الملكة تهيم بـ ( بيرياسوس ) .. هذا واضح .. ومن لا تلاحظه فهى معتوهة مثل ( عبير ) .. ولأنها ملكة فإنها ترى إنهاء سبب ضعفها هذا بأقصى سرعة

وحسم .. ولكنها لن تترك فتاة أخرى تقتل ( بيرياسوس ) .. ستقتله هى بنفسها لأنها تحبه !

إن نفسية المرأة ـ خاصة ذات الكبرياء ـ هى غابة متشابكة الأغصان يستحيل فهمها والتنبوء بمساراتها .

( فرويد ) وحده ـ عالم النفس الأشهر ـ يمكنه تفسير كل هذه الدوافع المعقدة .. لكن ( عبير ) بالطبع لم تقرأ ( فرويد ) .. ولو قرأته لما فهمت حرفًا .. لهذا أعفتنا من إقحام الرجل فى هذا الموقف .

ولم يكن لديها متسع سوى عاطفة واحدة ...

الغيرة !

نعم الغيرة ! برغم خطورة الموقف أدركت أن ( هيبوليت ) امرأة فاتنة قل أن يوجد مثلها .. حتى فى صورة ( عبير ) الساحرة كـ ( برسفونى ) ليست لديها أدنى فرصة فى المنافسة ..

والآن اختارت ( هيبوليت ) ( بيرياسوس ) لتحبه .. فما هى فرصة ( عبير ) الآن ؟ صفر .

صعد الدم إلى رأسها .. وتمنت أن يوفق اللّه أحد المتصارعين لقتل الآخر .. فلو ماتت المرأة لعاد ( بيرياسوس ) ملكًا لها .. ولو مات الرجل لتساوى

وضعها مع الملكة .. كلاهما يفقد حبيبه إلى الأبد ، وهذا نوع من التساوى فى الظلم الذى لا يمكن أن ننكر أنه نوع خاص جدًا من العدل ....

★ ★ ★

دنت أكثر من مسرح المذبحة القادمة .. وهى غارقة فى هذه الخواطر واستطاعت أن ترى أن هناك رقعة خالية من الأشجار .. مساحتها ستة أمتار فى ستة أمتار تقريبًا ..

ورأت أن محيط الرقعة يلتهب بالنيران .. لقد نثرت المحاربات الأعشاب الجافة وأشعلتها .... حلبة مصارعة تحيطها ألسنة اللهب عوضًا عن الحبال ..

ثم أدركت أن تقاليد المصارعة أكثر تعقيدًا .. فكلا المتصارعين يتم ربطه إلى خصمه بجنزير حديدى طوله خمسة أمتار .. بهذا يحدّ من قدرة كل منهما على الفرار أو التملص ..

ووقف ( بيرياسوس ) و ( هيبوليت ) يتبادلان النظرات ..

كانت عينا ( هيبوليت ) تلتمعان توحشًا .. وساعد بريق النيران على جعلها كنمر آدمى غاضب .. كل

النساء ذوات العيون الخضراء يعرفن كيف يظهرن كنمر حينما يغضبن ..

لكن هذا زادها جمالاً على جمال ..

تناولت المذراة .. والفأس .. وسألته عما إذا كان يرغب فى سلاح آخر غير السيف فقال لها : لا ....

تكونت دائرة كاملة حول المتصارعين ..

ووقفت الكاهنة رافعة ذراعها بما يشبه المنشة .. منشة مصنوعة من ريش ملون ..

- « والآ ااااان .. »

قالتها ماطة مقطع كلمتها منذرة بالبدء عند نطق حرف النون ..

ثم أنزلت منشتها فى حركة مفاجئة :

- « تقاتلا ! »

وأردفت وهى تتراجع إلى الوراء :

- « أريد قتالاً قذرًا ! قتالاً حتى الموت ! القاعدة الأساسية هى : لاقواعد .. فلتبلل الدماء هذه الأرض ! »

وقد كان ...

لكنها لم تكن دماء ( هيبوليت ) !

★ ★ ★

# ٥ - بعض العنف ..

نظرًا لكثرة العنف فى هذا الفصل ؛ نوصى ذوى القلوب الرهيفة بأن يقفزوا إلى الفصل السادس مباشرة ..

سيكون هناك كثير من الدماء بلا مبرر .. وكثير من الصراخ .. والهتاف الوحشى .. وحتى كاتب هذه السطور لا يحب كثيرًا ما سيكتبه بعد ثوان .. لكنه مضطر .. فلن يقتنع القارئ بعبارة ( ودار قتال وحشى انتهى بكذا ) للأسف .. ثم إن كاتب هذه السطور لا يعرف بتاتًا كيف سينتهى هذا القتال .. فهو حائر بين قتل ( هيبوليت ) ونجاة ( بيرياسوس ) - لكنها نهاية تقليدية يتوقعها الجميع - وبين قتل ( بيرياسوس ) ، مع ما فى ذلك من تجديد وفتح أبواب لا حصر لها بالنسبة لسياق القصة ...

إذن من سيربح ؟

الرجل أم المرأة ؟

* * *

ما إن بدأ القتال حتى فهمت ( عبير ) لإبعاد هذه الترتيبات الشيطانية ..

أولاً : التراجع مستحيل لأن نطاق النيران المحيط بالمتصارعين يحاصرهما تماماً ..

ثانياً : الجنزير الذى يربط الخصمين يجعل الكرّ والفرّ مستحيلاً ..

ثالثاً : لا تحاول جذب خصمك لأنه قد يستسلم فجأة .. من ثمّ تسقط أنت بقوانين القصور الذاتى - تباً له - لتقع فى النيران ..

كانت ( هيبوليت ) تلف الجنزير حول ذراعها فى حنكة .. لتقترب من ( بيرياسوس ) أكثر فأكثر .. بالطبع لم يكن بوسعها أن تجذبه إليها ..

وفى يدها اليمنى كان الفأس .. الفأس الذى راحت تطوح به فى الهواء جاعلة الدنو منها مستحيلاً ...

راح ( بيرياسوس ) يحاول الابتعاد عن الفأس الذى ذكّر ( عبير ) بمروحة الطائرات العمودية ..

كان يبحث عن ثغرة تتيح له إغماد سيفه فى جسد ( هيبوليت ) لكن المذراة كانت هناك .. وانغرست هذه فى ساعده .. ثم سرعان ما هوى الفأس ليمزق عضده ....

أى ى ى ! كانت الصرخة كافية لإعلان من هو الطرف الأقوى فى هذا الصراع ..

واضح أن ( هيبوليت ) خاضت هذا الصراع مرارًا .. وتعرف ما ينبغى عمله ..

جذبها ( بيرياسوس ) إليه بقوة .. من ثمَّ تراجعت هى وثبتت قدميها فى الأرض .. آه .. إن هذه المرأة قوية حقًا .. ( بيرياسوس ) العظيم عاجز عن جرُّها إليه ...

وفجأة تخلت عن جذب الجنزير .. فهوى ( بيرياسوس ) ـ وقد فقد توازنه ـ ساقطًا وسط ألسنة اللهب .. وأطلق صرخة أخرى وهو ينهض ..

صيحات الحماس الوحشى من المحاربات :

ـ « هوووووه »

ـ « شرحيه يا ( هيبوليت ) ! »

ـ « الموت للتستوسيترون ! »

جن جنون ( بيرياسوس ) وانطلق نحوها وهو يزأر كالأسود .. بثقة تراجعت للوراء ـ كأنما تصارع ثورًا ـ ووضعت ساقها فى طريقه .. فهوى متعثرًا على الأرض عند قدميها ..



ووضعت ساقها فى طريقه .. فهوى متعثرًا على الأرض ..

وفى اللحظة التالية كانت أشواك المذارة تنغرس فى ظهره المحترق ثم تراجعت ( هيبوليت ) خطـوة .. وهتفت باسمة :

ـ « هيا انهض .. إن شعبى لم يستمتع بعد كما يجب ! »

نهض ( بيرياسوس ) لاهثًا .. العرق يبلل عضلاته ويحرق عينيه .. لكن الغضب ينسيه ألمه ....

طوح بسيفه قاصدًا رأسها .. لكنهـا وثبت إلى الوراء برشاقة .. وهوت بالفأس على ذؤابة السيف .. فتصاعد الشرر وتهشم النصل إلى جزأين ...

لم ينس ( بيرياسوس ) أن يقذف الجزء الباقى من السيف عليها .. فـارتطم بصدرهـا ثم هـوى علـى الأرض ..

ـ « لقد بدأت تثور أيها المحارب ! »

هنـا اندفعت ( عبير ) تتشبث بكتفـى الضابطـة متوسلة :

ـ « استحلفك بالله يا ( إيناس ) ياحـ .... »

ـ « اسمى ( إينياس ) .. »

ـ « يا ( إينياس ) .. فلتنته هذه المذبحة ! »

- « ليست مذبحة .. إنها مباراة متكافئة .. »
- « إذن .. فلتعطه سيفًا آخر .. »
فى حسم قالت الضابطة :
- « حتمًا لا .. قواعد المباراة تحدد سلاحًا واحدًا .. »
- « إذن قد انتهى أمره ..! »
- « بالتأكيد .. ما لم تصب ( هيبوليت ) بنوبة قلبية الآن .. »
وفى حلبة المصارعة كان الموقف يسوء باستمرار .
( هيبوليت ) تجذب المحارب نحوها - أو تنجذب هى له - وهى تلوح بفأسها فى كل اتجاه ..
وجهها يزداد جمالاً وسحرًا مع كل التوحش الذى يغزو ملامحها ..
وأيقن ( بيرياسوس ) أنه إنسان ميت ...
إلا إذا ............

* * *

الآن نترك هذا المشهد لنرى مشهدًا أكثر أهمية ..
هو ذا ( زيوس ) جالس على أريكته يتابع المباراة على شاشته العملاقة ، وجهاز ( الريموت كونترول ) فى يده .. بينما ( هيرا ) متربعة على الأرض تهتف لـ ( هيبوليت ) فى حماس ...

قالت ( ديمتير ) فى ذعر حيث وقفت ترمق المشهد :

ـ « ( هيرا ) ! إن المرأة مسعورة .. توشك على افتراس الفتى ..

ولن تكتب النجاة لـ ( برسفونى ) .. »

قالت ( هيرا ) دون أن تفارق عيناها الشاشة :

ـ « هذا مؤكد .. إنهن لفتيات رائعات ! »

ثم وجهت كلامها لـ ( زيوس ) :

ـ « هلا رفعت الصوت قليلاً ؟ »

قال لها وهو يداعب الأزرار :

ـ « ثمّة عيب فى سماعات ( الستريو ) .. إن الضوضاء تبدأ عندما يرتفع الصوت .. إنه ذلك المهندس النصاب الذى .... »

ـ « افعلى شيئًا ! »

كانت هذه من ( ديمتير ) التى فقدت أعصابها ، فصرخت فى ( هيرا ) ..

ثم أردفت :

ـ « إنهن صنيعتك .. ولسوف ينفذن أوامرك .. »

نظرت ( هيرا ) إليها هُنَيهةً .. ثم مدت يدها إلى صدرها فتناولت جهازًا يشبه اللاسلكى .. وبفتور قالت :

ـ « ( هيرا ) تنادى ( هيبوليت ) .. ( هيرا ) تنادى ( هيبوليت ) .. خففى الوطء عن الفتى .. فأمره يهمنا هنا .. لا داعى لقتله .. كفاك تلقينه درسًا ساخنًا .. »

ثم أعادت الجهاز إلى صدرها .. وقالت :

ـ « لا بد أن يفى هذا بالغرض ... »

* * *

وصل الهاتف إلى ( هيبوليت ) وهى فى ذروة القتال .. فتوقفت قليلاً كى تحسن الإنصات ..

وكان هذا ما يبتغيه ( بيرياسوس ) تمامًا ....

دار حولها بسرعة ولفَّ الجنزير حول عنقها ..

وفى اللحظة التالية كان يقف وراءها .. وشدَّ الجنزير .. ثم ثبت قدمه فى أسفل ظهرها ليحكم الخنق ..

أووووغ ! راحت تطوح بالفأس فى اتجاهات عشوائية محاولة أن تطيح برأسه ، لكنه كان بعيدًا عن متناولها ..

راح يضغط بأسنانه على شفتيه حتى أدماهما ، محاولاً أن يزيد من قوة الضغط .. أوووغ !

ولم تعد ( هيبوليت ) حسناء ..

لقد جحظت عيناها وبرز لسانها خارج فمها .. واحتقن وجهها ..

وللمرة الأولى وجمت المحاربات وكففن عن الهتاف .

مدَ ( بيرياسوس ) يده الحرَة إلى منطقتها .. وعالج قفلها .. ثم انتزعها ورفعها فى الهواء .. تلتمع فى ضوء اللهب ...

وفى اللحظة التالية تخلى عن الجنزير ليلقى بضحيته المتوحشة إلى الأرض ..

ولوح بيده حاملة المنطقة فى الهواء .. وصاح :

ـ « يا محاربات ( الأمازون ) .. لقد قاتلت وفزت .. إن منطقة ( هيبوليت ) ملكى الآن ! »

ومن موضعها حيث تمرغت فى التراب .. هتفت ( هيبوليت ) من بين أسنانها وهى تحرر عنقها من الجنزير :

ـ « هيا ! انته منى ! هو ذا الفأس ملقى بجوارى .. لن تحتاج إلا إلى ضربة هينة .. »

قال لها لاهثًا وهو يتراجع إلى الوراء :

ـ « أنا لا أقتل النساء .. حتى لو كن مسعورات ! »

وتقدم يشق طريقه بين صفوف المحاربات ، اللواتى ألجمتهن الدهشة لهزيمة مليكتهن فرحْنَ يتراجعن مفسحات طريقه ..

ولقى ( عبير ) .. فوضع ذراعه حول كتفيها .. واتجها إلى الشاطئ ..

- « ( بيرياسوس ) ! »

النداء يستوقفه فيلتفت إلى الوراء ..

كانت ( هيبوليت ) هى من ناداه ، وهى جاثية على ركبتيها وقد تلوث وجهها بالغبار .. وعيناها تتوسلان له ...

كانت تبكى بحرقة ...

لماذا تبكى ؟ هناك أسباب كثيرة لذلك ، لكن لا وقت لدى ( بيرياسوس ) كى يتساءل ....

إن ( بلوتو ) ينتظر ....

* * *

# ٦ - اقتل ( ميدوسا ) !

( بيجاسوس ) الوفى يحلق فوق مياه المحيط ..
و ( بيرياسوس ) يردد فى إنهاك :
- « فرغنا من خمسة أخطار وبقيت خمسة ! »
- « كثير .. كثير جدًا ..! »

الواقع أن ( عبير ) - التى لا تثق بنفسها أبدًا - راحت تتساءل عما إذا كانت تستحق كل هذا العناء .. كل هذا الكفاح من أجلها هى ؟! أية سخافة ! ثم قالت لنفسها : إنها تعرف جيدًا أن هذا الكفاح ليس من أجلها .. ( بيرياسوس ) يكافح من أجل قيم البطولة فى حد ذاتها لا من أجل فتاة مهما عظم شأنها ..

قابلهما ( شارون ) فى وسط المحيط ، فى قارب صغير ينقل إليه الغرقى من ركاب سفينة فينيقية مالت على جانبها ..

كان الغرقى يولولون ويتوسلون إليه - بلغة فينيقية ممتازة - كى يتركهم .. من الغريب هنا أن ركوب قارب ( شارون ) يعنى الهلاك ، بينما تركهم وسط الأمواج معناه النجاة !

لكن ( شارون ) كان حازمًا :

ـ « أنا لم آت لأمزح معكم .. فليركب الجميع الآن ! »

وتكوّم البوساء فى القارب يندبون الحياة الجميلة التى فارقوها إلى أهوال ( هيدز ) مملكة الظلام ...

ورأى ( شارون ) الحصان المجنح براكبيه .. فلوح بعصاه فى الهواء وصاح كاشفًا عن أسنانه النخرة :

ـ « مرحى يا ( بيرياسوس ) ! استغرقت وقتًا طويلاً هذه المرة .. يبدو أنك أعجبت بحصان ( الأمازون ) .. »

صاح ( بيرياسوس ) بدوره :

ـ « تبًا لك ولسيدك ! لقد كانت لحظات كئيبة حقًا .. »

ثم أخرج المنطقة من حزامه .. وطوّحها ليتلقاها تلميذ الجحيم :

ـ « خذ ! ماذا سيفعل مولاك بها ؟ أيربط رأسه بها اتقاءً للصداع ؟ »

ـ « هذا شأنه يا صديقى .. »

ثم إن ( شارون ) دسّ المنطقة بين طيات ردائه الأسود .. وقال وهو يهشم رأس أحد الغرقى كثيرى الصخب :

ـ « صه ! والآن يا ( بيرسيوس ) .. هى ذى مهمتك السادسة .. عليك أن تقتل ( ميدوسا ) ! »

ـ « لكن ( برسيوس ) سيفعل هذا .. إن لم يكن قد .. »

ـ « لقد أعيد توزيع الأدوار .. والآن .. هيا ! »

وابتعد الحصان المجنح براكبيه .. وغدا ( شارون ) وقاربه بقعة سوداء فى الأفق ..

قالت ( عبير ) فى قلق :

ـ « كان المفترض أن أتحاشى ( ميدوسا ) و ( المينوتور ) .. لقد جابهها الدكتور ( رفعت إسماعيل ) من قبل .. ولسوف يكون فى هذا تكرار لا يخلو من إملال .. »

غمغم ( بيرسيوس ) فى شرود :

ـ « على كل حال هو لم يواجههما حقًا .. كانت خدعة محكمة ... ومن المستحيل أن ينسى ( بلوتو ) ( ميدوسا ) ما دام ينوى خراب بيوتنا .. »

ثم فى حنق :

ـ « إننى أتساءل عما بقى من أعمال عظيمة لـ ( هرقل ) و ( بيرسيوس ) وسواهم .. لقد صاروا مجموعة من الكسالى خاملى الذكر .. »

* * *

أين توجد ( ميدوسا ) ؟

يقولون أحيانًا إنها تعيش فى جزيرة فى بحر ( إيجه ) .. ويقال إنها تعيش فى شمال ( ليبيا ) مع شقيقتيها الجرجونتين ..

كيف يمكن العثور على وحش فى هذا الكون اللانهائى ؟

فى العادة يستحيل العثور على وحش .. الوحوش هى التى تعثر عليك دائمًا ..

قالت ( عبير ) محاولةً أن تكون مفيدة :

ـ « فى الأسطورة عثر ( بيرسيوس ) على ( ميدوسا ) بعد ما سأل ( السيكلوب ) عن مكانها ، إن ( السيكلوب ) هى الكائنات ذوات العين الواحدة التى ... »

ـ « أعلم .. أعلم .. » قاطعها فى سأم ـ « ولكن من نسأل لنعرف مكان ( السيكلوب ) ؟! »

صمتت مفحمة ، وراحت تبحث عن جواب آخر ..

هنا دوّت الإجابة فى ذهنيهما فى ذات الوقت :

« ( ميدوسا ) فى بحر ( إيجه ) .. الجزيرة عند خط عرض ( كذا ) وطول ( كذا ) .. »

ـ « ما هذا ؟ »
قال لها مبتسمًا وهو يلوى عنان الجواد شرقًا :
ـ « رسالة لاسلكية .. حتمًا أرسلها لنا ( زيوس ) أو ( هيرا ) أو ربما ( بلوتو ) نفسه .. إن سادة الأوليمب سريعو الملل .. يكرهون أن نؤخر متعتهم بإضاعة ساعات ثمينة فى البحث .. »
وتحسس نطاقه وأردف فى مرح :
ـ « هذا دليل آخر .. إنهم منحونى سيفًا بتارًا جديدًا بدلاً من ذلك الذى حطمته ( هيبوليت ) .. ما كنت لأواجه ( ميدوسا ) دون سيف .. »
بقلق تساءلت ( عبير ) :
ـ « والدرع البراق ؟ لقد كان شديد الأهمية لـ ( بيرسيوس ) .. »
ـ « إن ( هرمز ) ليس هنا ليهدينا واحدًا .. علينا أن نترجَّل إذن .. »
ومدّ يده إلى جيبه فأخرج الاسطرلاب وآلة السدس وبوصلة .. وراح يجمع ويطرح ويقسم .. ثم صاح :
ـ « هنا ! هذه هى جزيرتنا إذن ! »
كانت جزيرة صخرية شريرة الشكل لا توحى

بالثقة .. تقف وسط أمواج البحر كأنما تتجداها .. وكأنما الأمواج تتمنى تفتيتها بلا جدوى ..

وبدأ ( بيجاسوس ) ينحدرمعه فؤاد ( عبير ) هلعًا ..

* * *

تماثيل متقنة تنتشر على الساحل ..

تماثيل تحكى - فى بلاغة - حكاية العذاب البشرى .

فمن تمثال لرجل يركع على ركبتيه صارخًا ، حاجبًا بكفيه عينيه .. إلى تمثال لرجل يسقط على الأرض وقد رفع كفه مذعورًا يتقى خطرًا ما .. إلى تمثال لعجوز ملتح يشيح بوجهه ...

مشت ( عبير ) بين التماثيل جوار ( بيرياسوس ) ، وقد ملأها التوجس والذعر من هذا الجو الجنائزى المقيت ..

قالت له هامسةً حتى لا تسمعها التماثيل :

- « ما قصة هذه التماثيل ؟ »

قال لها هامسًا بدوره وهو يمتشق حسامه ويتقدمها :

- « إن ( ميدوسا ) كانت امرأة عادية حتى أحنقت ( زيوس ) لسبب لا أذكره .. لهذا سحرها وشقيقتيها



تماثيل تحكى ـ فى بلاغة ـ حكاية العذاب البشرى . .

( مـاجيرا ) و ( نيـيرا ) إلـى مسـوخ .. إن كفـى ( ميدوسـا ) من النحـاس وشـعرها مـن الأفـاعى التـى لا تكف عن الفحيح ! »

- « مرحى ! »

- « ليس هـذا كل شـىء .. إن عينـى ( ميدوسـا ) قادرتان على تحويل من تراه إلى حجر .. »

- « جميل ! »

- « هذا يفسر لك ما أصاب هؤلاء القوم البوساء .. إنهم غالبًا من البحارة الذين رماهم سوء طالعهم إلى هذا المكان دون سواه .. »

كان هناك تمثال تكاد الحياة تدب فيه .. تمثال لرجل لحظة الانكفاء على وجهه بعد ما رأى المسخ ...

تساءلت ( عبير ) وهى تنقل قدميها فى هلع :

- « وكيف تقتل ما لا يُسمح لك برؤيته ؟ »

- « هذه هى المسألة كما سيقول ( هاملت ) يومًا ما »

تمثال لرجـل تمدد علـى الأرض محـاولاً الزحف .. وقد استند بيده اليمنى إلى الغبـار ورفـع اليسـرى متوسلاً ....

تسأل ( عبير ) بطلها :

ـ « وهل ( ميدوسا ) موجودة فى العراء ؟ من السهل أن نلقاها إذن فى أية لحظة .. »

مط ( بيرياسوس ) شفتيه فى اشمئزاز إغريقى :

ـ « أستبعد هذا .. إن المرأة لها طباع ثعبان آدمى .. وأعتقد أنها تفضل الاختباء فى الخرائب حين تكون الشمس ساطعة .. مثلما هى الآن .. »

أشارت بإصبعها السبابة إلى المدى .. وتساءلت :

ـ « خرائب مثل هذه ؟! »

* * *

دارا حول المعبد المتهالك الذى تساقطت أكثر جدرانه .. وما بقى منها اكتسى بالطحالب الخضراء والعفن ..

ثمَّة سحلية تفرّ هنا .. وأفعى تزحف هناك .. وأشياء أخرى لا تدرى كنهها لكنها حية ترزق !

قال ( بيرياسوس ) لاهثًا من فرط انفعال :

ـ « والآن لنتفق على كل شىء .. سأدخل وحدى .. فإن أنا لم أعد فعليك الفرار بـ ( بيجاسوس ) .. ولسوف يجدك ( بلوتو ) وتغدين فى أمان فى ( هيدز ) ! أى جحيم هو أفضل من هذا المكان ..

تذكرى .. تنتظرين حتى الغروب فقط .. فلا أريدها أن تغادر خباءها لتجدك ! »

- « ولكن ... »

- « من حقك أن تصمتى تمامًا .. لكنى لا أريد اقتراحات بلهاء .. »

وهنا تصلبت ..

هناك من يتحرك ببطء خلف ظهرها !

* * *

# ٧ - لماذا لم تقتلها بعد ؟!

كما يحدث فى أفلام الرسوم المتحركة ؛ شعرت ( عبير ) بأن شعر رأسها يقف على أطرافه مشعًا فى كل اتجاه .. كأنها أشواك قنفذ ...

واستدارت تلقائيًا لترى كنه القادم ؛ لكن ( بيرياسوس ) صاح بها فى عصبية :

- « لا تنظرى يا حمقاء ! تبينى من هو أولاً ! »

وأطرق برأسه وأطرقت .. حين سمعا صوتًا يترنم :

- « بحق عجول ( ديونيزوس ) .. بحق ( الهسبراد ) .. وقوس أبوللو الذى يضرم اللهب فى سواد الدياجير ... »

صوت شيخ هو .. مصحوبًا بنغمة ما كنغمة القيثار ..

هنا التفتا إلى الوراء ..

ورأت ( عبير ) شيخًا يرتدى أسمالاً بالية ، وقد أمسك قيثارًا يعزف عليه مصاحبًا أشعاره ، وكان ضريرًا كخفاش ..

قال ( بيرياسوس ) متنفسًا الصعداء :

- « ووووه ! ( هوميروس ) ! أيها الضرير الثرثار .. حسبتك هى »

واصل الرجل الترنم :

- « أواه لـ ( بيرياسوس ) ابن ( هيلانة ) .. أواه للبطل الذى تحدوه أنغام الهلاك وأهازيج المنية .. لك التحية يا بن ( زيوس ) الذى لم ينجبه ! »

قال ( بيرياسوس ) فى مرح :

- « ( هوميروس ) .. الشاعر المكفوف الذى خلّد ملاحم البطولة الإغريقية .. وصاحب ( الإلياذة ) و( الأوديسة ) .. هل قرأت له شيئًا ؟ »

غمغمت ( عبير ) :

- « قصتيه الأخيرتين فحسب .. هل تحب أشعاره ؟ »

- « ليس تمامًا .. أفضل قصائد ( فرجيل ) المسماة بالأكلوجات .. ولكنه هنا على كل حال .. »

- « ولماذا جاء ؟ »

- « بالطبع كى يصف هلاكنا على يدى ( ميدوسا ) .. إنه ـ كما تقولون فى العامية المصرية ـ يبغى جنازة يشبع فيها لطمًا .. »

وهنا انتابت الحماسة ( هوميروس ) فواصل الإنشاد :

ـ « أواه يا ( بيرياسوس ) ! يا من ذهبت للقاء الجرجونة دون أن تشرب من خمر ( باخوس ) .. أواه يا بطل الأبطال .. يا بن ( جى ) .. ويا أخا ( مينرفا ) ربة الحكمة .. »

قال لها ( بيرياسوس ) فى حنق :

ـ « اتسمعين ؟ ينظم أبيات رثائى وأنا حىّ أرزق .. لهذا أنا أمقت الشعراء .. ولا أثق إلا بالسيف .. »

ـ « يومًا ما سيقول أحد شعراء العرب نفس الكلمات تقريبًا(*) .. »

وهنا التمعت فكرة فى ذهن ( بيرياسوس ) ..

إن ( هوميروس ) ضرير .. أليس كذلك ؟ معنى هذا أن سمعه مرهف وإحساسه بالمكان على أتم ما يكون .. لِمَ لا يكون ( هوميروس ) هو مرشده داخل هذا المعبد الخرب ؟

على الأقل يكون هذا الشاعر النصّاب قد قام بشىء عملى واحد فى حياته .. ومارس البطولة بدلاً من الاكتفاء بمدحها ...

---

(*) السيف أصدق أنباء من الكتب ..
فى حده الحد بين الجد واللعب

أخرج ( بيرياسوس ) عصابة لفها حول عينيه بحيث لم يعد يرى شيئًا ..

وتأبط ذراع العجوز .. وقال فى مرح :

- « والآن يا جدى .. سندخل هذه الخرائب بحثًا عن ( ميدوسا ) .. وعليك أن تكون عينى وأذنى .. عندما نلقاها تنذرنى بهذا .. »

اعترض الشيخ :

- « لكنى شاعر ولا أصلح لـ .... »

- « بل تصلح لأنك الوحيد الذى يجرؤ على فتح عينيه فى حضرة هذه الشيطانة .. »

ودون كلمة أخرى شدّ الشيخ من ذراعه ...

قاصدين الباب الوحيد الذى وجداه ...

الباب إلى عالم ( ميدوسا ) الرهيب ...

★ ★ ★

ماذا رأى ( بيرياسوس ) بالداخل ؟

طبعًا لا شىء سوى الظلام ...

فقط هو يشعر بعضد ( هوميروس ) الواهن المرتجف .. ويسمع اصطكاك ما تبقى لديه من أسنان ...

هناك ـ أيضًا ـ صوت الأنفاس اللاهثة .. وحفيف الأقدام فوق أرض من رخام مغطى بالغبار ..

يقول ( هوميروس ) فى تؤدة :

ـ « نحن نصعد فى درجات سلم .. »

ثم يقول فى مزيد من التؤدة :

ـ « هذا رواق طويل .. »

وتتحرك عصاه يمينًا ويسارًا .. ويغمغم :

ـ « تماثيل .. تماثيلُ هنا وهناك .. بعض من ضحايا الشيطانة .. »

ثم ..

ـ « نحن نهبط فى درجات سلم .. نخرج من باب و .... لحظةً ! هذا جسد امرأة .. امرأة حيَّة ! إنها هى ! اضرب يا ( بيرياسوس ) بحق ( زيوس ) ! »

ورفع ( بيرياسوس ) سيفه ليهوى به أمامه حين سمع صراخ ( عبير ) :

ـ « توقـاااف ! هذه أنا .. ( عبـ ... ) أ .. ( برسفونى ) ! »

نزع ( بيرياسوس ) العصابةَ عن عينيه ليجد أنهما خارج المعبد .. فى نفس المكان الذى بدأ منه ! لقد

دار الشيخ الأحمق دورة حول نفسه داخل المعبد وخرج من حيث دخل !

- « تبًا » - قالها فى حنق - « وأنا الذى ظننت حاسة الاتجاه عند العميان لا تخطئ .. كدت أطير عنق هذه البائسة ! »

- « إننى أحتج .. إن الممرات معقدة جدًا بالداخل مما يـ ..... »

- « حسن .. دعنا نكرر المحاولة والويل لك لو ضللت الطريق ثانية .. »

وكذا .. يستمر البحث .. ويواصل ( هوميروس ) الإدلاء بمعلوماته لبطلنا معصوب العينين ..

- « هناك بئر أو حفرة عميقة أمامك .. إن صوت خطواتنا يدل علي ذلك .. خذ الحذر .. »

صوت فحيح أفاع يتعالى من بعيد ..

توترت ذراع ( هوميروس ) وتحول صوته إلى فحيح مماثل :

- « هى هنا ! هل سمعت ؟ إنها أمامنا جهة اليسار ! »

الصوت يدنو أكثر .. ثم سمعا صوتًا متحشرجًا يهتف فى لزوجة :

ـ « من ؟ من ؟ »

ويتعالى الصوت أكثر .. إن صاحبته تدنو .. تدنو ..

ـ « من الأحمق الذى تجاسر على إيقاظ ( ميدوسا ) ؟ »

يهمس ( بيرياسوس ) فى أذن الشاعر المذعور :

ـ « حين تقترب لمسافة مترين .. ارم بى عليها .. »

ـ « لـ .. ليكن ! »

صوت الفحيح والخطوات يتعالى أكثر ..

ثم يلقى ( هوميروس ) بـ ( بيرياسوس ) إلى الأمام تجاه اليسار ، ويجد ( بيرياسوس ) نفسه يصطدم بما يشبه جسد امرأة ، لكنها امرأة قوية كخرتيت .. لها رائحة حظائر الخنازير لو أن الخنازير مصابة بغازات البطن ..

وشعر بيدين ثقيلتين معدنيتين ـ من نحاس بالتأكيد ـ تعتصران عنقه ، وثمة يد ترتفع فى فظاظة إلى وجهه محاولة إزالة العصابة .. لا !

رفع السيف إلى أعلى وهوى به ـ بكل قوة ـ على ما يفترض أنه الرأس .. ضربات عشوائية فى الهواء ثم .. الضربة الماحقة الساحقة تضرب جذور الرقبة ..

وثمة شيء ساخن مقزز يبلل وجهه .. إنه دمها ! دم ( ميدوسا ) ..

الجسد يتخاذل .. يهوى أرضًا .. صوت فحيح الأفاعى يتعالى ثم يهمد تمامًا .. يفتش ( بيرياسوس ) بيد لا ترى عن الرأس ..

هو ذا ! رأس ( ميدوسا ) فى قبضته الآن .. يشعر بالحركة المتقلصة للأفاعى المحتضرة .. والثقل غير العادى للرأس كله ....

ينزع ( بيرياسوس ) عباءته عن كاهليه ، ويلف فيها الشيء المشئوم ، ثم يقول لـ ( هوميروس ) لاهثًا :

- « انتهى الأمر ! »

★ ★ ★

- « ( بيرياسوس ) العظيم الذى رضع الجسارة من ثدى أمه ( جى ) ..

إنه قد خلب لب سادة الأوليمب .. وارتج له فؤاد ( هيرا ) .. وفى الفيافى ، وفوق الأثباج ترنم المسافرون بالاسم .. »

كان هذا ( هوميروس ) ينشد أبيات الشعر

الحماسى ، بينما يتقدم قاصدًا الخروج من المعبد ..

قال له ( بيرياسوس ) فى حنق :

ـ « هلا خرست قليلاً ؟ لا نريد أن تجدنا الأختان الآن .. فهما لن تكرما وفادتنا ونحن نحمل رأس أختهما .. »

أحس ( بيرياسوس ) بالهواء النقى ، فنزع العصابة عن عينيه ..

كانت ( عبير ) تنتظر فى الخارج مذعورة ، فرفع رداءه بما فيه ملوحًا بما معناه : قد فعلتها !

تنفست ( عبير ) الصعداء .. وهتفت :

ـ « هو ذا ( بيرياسوس ) الذى لا يقهر .. ( بيرياسوس ) الذى لا يجهل شيئًا فى العالم سوى مرارة الفشل ! »

بكبرياء ابتسم :

ـ « لقد أصابتك العدوى من ( هوميروس ) .. والآن هيا بنا .. لقد أنهينا العملية السادسة .. »

واتجها باحثين عن ( بيجاسوس ) الذى كان يرعى لا شىء فى الواقع ..

ولحق بهما ( هوميروس ) مترنحًا .. وصاح :

- « ألن تأخذانى معكما يا ( بيرياسوس ) ؟ »

ردّ ( بيرياسوس ) وهـو يسـاعد ( عبـير ) علـى الركوب :

- « نعم لـن نفعل .. إن ( بيجاسوس ) لـن يحمل راكبين .. ستعود من هنـا بنفس الطريقة التـى جئت بها ، والتى لا يعلمها سوى الله .. »

- « لكن الليـل قـادم .. والأختـان ستخرجان لى .. و .... »

- « هذه ستكون خبرة شعرية عظيمـة .. فكر فى الأبيات الرائعة التى ستنظمها ! »

قالها وهو يمتطى صهوة الحصان بدوره ..

هنا صاح ( هوميروس ) محنقًا :

- « عليك اللعنة إذن يا ( بيرياسوس ) .. يـا أنـذل أبطال ( هيلاس ) ! »

كان ( بيجاسوس ) قد رفرف بجناحيه محلقًا ..

وتسـاءلت ( عبير ) وهـى ترمـق ( هومـيروس ) يصغر ويصغر .. وهو ما زال يلوح بعصـاه مستمطرًا اللعنات :

- « ما معنى ( هيلاس ) ؟ !..



هنا صاح (هوميروس) محنقًا:

ـ عليك اللعنة إذن يا (بيرياسوس)..

- « ( هيلاس ) هى اليونـان .. ولا تـأخذنك شـفقة بهذا الشاعر المدّعى .. إنه يحاول خلق موقف درامـى لا أكثر .. فكما جاء سيرحل .. »

- « لهذا لم يرد اسمك فى الأساطير الإغريقية .. »

- « هذا حق .. إن ( هوميروس ) أشبه بـالصحفى النصّاب الذى يستغل منصبه .. فمن أسدى لـه خدمـة كتب عنـه .. ومـن تجاهلـه تجاهلـه هو بـدوره .. أو كتب مقالات يسبه فيها ... »

كانت أمواج البحر تمتد إلى ما لا نهاية ..

ومعها التساؤل الدائم : ما هو الخطر القادم ؟

★ ★ ★

الخطر القادم كان خطرًا .. وقادمًا .. ومريعًا ..

هذا هو ما أستطيع قوله فى الوقت الحالى ..

لماذا لا تقرأ الفصل القادم لتعرف أكثر ؟!

★ ★ ★

# ٨ - عربة الهلاك ..

كانا يطيران الآن فوق ( قبرص ) ...

( عبير ) تعرف هذه الجزيرة ، وتذكر اسمها من ( الأطلس ) الذى أعطوها إياه فى المدرسة .. أواه ! لكم تأملته وعانقت كل جزء فيه .. ولكم سافرت - بخيالها - من تلك النقطة إلى تلك .. وهبطت إلى القطب الجنوبى حيث ترمقها الدببة والبطاريق فى ملل .. وارتحلت إلى ( أستراليا ) حيث تواثبت الكناغر فارة منها وطاردتها قبائل ( البوشمان ) بأسلحتهم المرتدة المعقوفة ( البوميرانج ) .. ولكم .......

هى ذى تعيش فى الخيال .. لكنه خيال مختلف ، له طعم ولون ورائحة وملمس .. خيال قادر على أن يدمى أو يسرّ ...

قال لها ( بيرياسوس ) رافعًا صوته :

- « هذه - على الشاطئ الجنوبى - هى بلدة ( أماذيس ) .. »

وهنا رأت ( عبير ) رجلاً يقف فى شرفة منزل ..

كان يمسك بالمعاول والأزاميل عاكفًا على كتلة من الحجر أمامه .. ومن الواضح أن هذا الرجل مثَّال .. ومثَّال موهوب .. لأنه قد أحال كتلة الحجر إلى امرأة بارعة الحسن تقف فى خيلاء .. وتوشك على أن تتحرك لولا أن هذا مستحيل ....

لشدة دهشتها رأت الرجل يلقى بالمعاول والأزاميل أرضًا ، ثم ينقض على قدمى التمثال يغسلهما بدموعه مولولاً .. ثم رأته يشعل البخور عند قدمى المرأة .. ويخاطبها بانكسار غريب ...

همست ( عبير ) فى أذن فارسها :

- « إنه مجنون .. »

- « بل عاشق .. كل عاشق مجنون فى حقيقته .. »

- « يحب تمثالاً ؟ »

- « لا ؟ إنه ( بيجماليون ) الذى تفنَّن فى صنع تمثال لـ ( فينوس ) ، وكانت النتيجة هى أنه هام به حبًا .. وراح يتمنى لو دبت الحياة فى هذا الحجر الأصم .. إن عقدة ( بيجماليون ) معروفة .. وتحدث كثيرًا للمدرسين الذين يهيمون حبًا بتلميذتهم الذكية .. كما أن أديبكم ( برنارد شو ) قدمها فى مسرحية

شهيرة هى ( سيدتى الجميلة ) .. »
هتفت وقد تذكرت تمصير هذه المسرحية :
ـ « إنها أسطورة رومانسية والحق يقال .. لماذا لا نقترب أكثر ؟ »
ـ « هذا من حقك ... »
وراح ( بيجاسوس ) يرفرف حول الشرفة ، فأفاق ( بيجماليون ) من هيامه .. ودنا ـ دامع العينين سائل الأنف ـ من حاجز الشرفة .. ولم تبد عليه الدهشة .. إن الخيول المجنحة ليست شيئًا يدعو للذهول فى بلاد الإغريق ..
هتف فى اهتمام وهو يكفكف دمعه :
ـ « هل أنت ( بيرياسوس ) ؟ »
ـ « نعم .. »
ـ « كدت أنتحر صباح اليوم من فرط الوله .. لكن ( شارون ) رفض أن يأخذنى إلى ( هيدز ) .. وكلفنى بأن أبلغك رسالة .. »
ـ « تبًا لـ ( شارون ) ! إنه لا يضيع وقته .. ماذا يريد ؟ »
ـ « يقول لك أن تقود عربة الشمس بدلاً من ( أبوللو ) .. »

- « هذا ليس عسيرًا .. إذن وداعًا يا ( بيجماليون ) .. وأنصحك ألا تحاول الانتحار .. إن ( فينوس ) سترقّ لك حتمًا .. ولسوف تدب الحياة فى التمثال ويصير فتاةً حسناء اسمها ( جالاتيا ) ! »

- « هـ .. هل أنت واثق ؟ »

- « حتمًا .. »

كاد ( بيجماليون ) يثب من الشرفة ليعتصر المزيد من المعلومات من ( بيرياسوس ) .. لكن هذا الأخير لم يكن ليضيف أكثر من هذا .. وسرعان ما لوح بذراعه مودعًا وارتفع بحصانه نحو السماء ..

وصارت ( قبرص ) من جديد بقعةً فى أطلس مدرسى حىّ ..

★ ★ ★

- « إلى أين ؟ »

- « إلى أقصى نقطة شرقية حتمًا .. »

وهناك عند الساحل الشرقى لـ ( آسيا ) حيث تتناثر جزر ( اليابان ) و ( الفلبين ) و ( الملايو ) .. هناك حيث الجو الاستوائى يخنق الأنفاس برطوبته وبعوضه ؛ كان الموعد المرتقب ..

إنه الظلام .. الليل يلفظ آخر أنفاسه ..

كانت هناك حاملة طائرات عليها الحروف الأولى من ( أسطول الولايات المتحدة ) .. وقارب يقف فى المياه الضحلة به عدة بحارة .. ينتظرون جنرالاً يبدو عليه الهمّ ، وفى يده حقيبة ..

قال له أحد البحارة وهو يسلط كشافًا فى يده على المشهد :

ـ « هو ذا قاربك يا جنرال .. »

ردّ الرجل فى همّ متصل :

ـ « سأصدع بالأوامر لكنى سأعود .. وسأطرد هؤلاء الـ ( جابس )(*) .. »

لم يفهم ( بيرياسوس ) ما يحدث ، لكن ( عبير ) ـ خرقًا للعادة ـ عرفت على الفور أن هذا هو الجنرال الأمريكى ( ماك آرثر ) يغادر ( الفلبين ) .. معلنًا سيطرة اليابانيين المطلقة على المحيط الهادى ..

تساءل ( بيرياسوس ) ممتعضًا :

ـ « وما دخل هذا بالأساطير الإغريقية ؟ »

---

(*) جابس Japs هو اختصار كلمة Japanese وهو اسم التدليل الذى كان الأمريكيون يطلقونه على اليابانيين إبان الحرب ..

- « لا دخل .. إنه خلط يحدث كثيرًا فى ( فانتازيا ) .. وقد اعتدته ! »

وهنـا دوت الطلقـات .. إنهـم يطلقـون رصـاص ( الفيكرز ) من فوق ظهر الحاملة على ( بيجاسوس ) .. حاسبين - البلهاء - أنه طـائرة يابانيـة .. وكـان علـى ( بيرياسوس ) أن يرتفع أكثر فأكثر ..

وأخيرًا يدنوان من السحاب ..

وهناك كان ( أبوللو ) ينتظر جوار عربة الشمس ..

★ ★ ★

( أبوللو ) الجمال المجسد بشعره الذهبى الأشقر .. والتاج المتألق فوق رأسه .. وقوامه الرشيق الغض ..

كان ينتظرهما وقد بدا عليه شىء من الملال ..

العربة أنيقة تحفها الزخارف .. وأمامها وقفت ستة خيول بيضاء مطهمـة يتصـاعد الدخـان الأبيـض مـن مناخرهـا .. وحوافرهـا تركـل السـحب فـى عصبيـة مبعثرة إياها فى كل صوب ..

وأمامها كانت سلال العلف المقدس ..

نظرت ( عبير ) فى انبهار إلى ( أبوللو ) العظيم .. إذن هـو أنـت ! وباسمـك أطلـق الأمريكيـون أول

سفينة فضاء إلى القمر .. وباسمك الآخر ( فيبوس ) سموا القمر الذى يدور حول المريخ ..

قال ( أبوللو ) وهو يداعب عنق أحد الجياد :

ـ « تأخرتما كثيرًا .. لقد فرغت ( أورورا ) من ( عملية الفجر ) .. فبعثرت الأنسام ، ورشت الندى فوق الزهور ، وأيقظت الطيور .. حان الوقت إذن .. »

فى خجل قال ( بيرياسوس ) مترجلاً من فوق حصانه :

ـ « معذرة .. كاد الأمريكيون يقتلوننا .. حسبونا طائرة يابانية .. »

ترجلت ( عبير ) .. ولم يفتها أن تتساءل بحيرة عن كنه الأرض التى تقف فوقها .. المفترض أنها سحاب ولا شىء سواه .. فكيف لا تسقط من حالق ؟! على كل حال تجربة المشى فوق السحاب ليست مملة أبدًا ..

نظرت إلى ( أبوللو ) بانبهار .. وتساءلت :

ـ « هل لك علاقة ما بـ ( آمون ) و ( رع ) ؟ »

ـ « أوه .. كلنا نفس الشخص .. ولكن المصريين يتسمون بالدقة .. لهذا جعلوا ثلاثة أفراد مسئولين

عن أطوار الشمس .. المشرقة .. الغاربة .. ثم فى وسط السماء .. »

ثم إنه التفت إلى ( بيرياسوس ) ليقول له بلهجة تقريرية باردة :

- « أنت تعرف يا ( بيرياسوس ) أن عربة الشمس تقوم برحلتها اليومية من الشرق إلى الغرب ، باعثة الضياء فى أقطار الأرض .. مهمة حساسة كما ترى وتحتاج إلى خبرة كبيرة .. ولولا أن لدى أمر تكليف من ( بلوتو ) ما كنت قبلت أن أعطيك عربتى .. »

ثم أشار إلى الجزء الخلفى من العربة :

- « من هنا - من هاتين الفتحتين - يخرج اللهب المريع الذى ينير الكون .. يمكن التحكم فى كميته بالضغط على الدواسة اليسرى .. »

ثم أخرج منشفة يجفف فيها يده من الشحم .. وأردف :

- « مشكلة أخرى هى الفرامل .. إن ( تيلها ) ليس على ما يرام .. كما أن ( الكبالن ) فى الموتور بحاجة إلى استبدال من فترة .. نقل السرعات إلى الثالث قد يؤدى إلى توقف العربة ! »

ثم تنهد .. وناول السوط إلى ( بيرياسوس ) قائلاً :

ـ « يمكنك البدء .. هل من سؤال آخر ؟ »

ـ « نـ .. نعم .. الاتجاهات ؟ »

ـ « أوه .. لا تشغل بالك بها .. إن الخيول تعرفها جيدًا .. لكن عليك أن تلزم خط الاستواء لا تبرحه وأنت تدور حول الأرض .. لا تحاول الانحدار إلى مدار الجدى أو مدار العقرب .. ولا تحاول أن تهبط إلى ما تحت مستوى السحائب حتى لا تحترق قمم الأشجار والغابات .. أو كاى ؟ »

ـ « أو .. أو كاى .. »

ثم إن ( أبوللو ) ناول ( بيرياسوس ) و ( عبير ) دهان الشمس المقدس ، الذى يحمى الجلد من الاحتراق .. وقطر فى عينيهما من الماء الذى يحمى العين من العمى بسبب الضوء الشديد ..

ـ « خذا الحذر .. إن هذه الخيول شرسة حقًا .. وحتى أنا أشعر بفؤادى يرتجف وأنا أدنو منها .. إن كلاً منها هو إعصار فى صورة حصان .. والتحكم فيها كالتحكم فى شلال .. »

وتمنى لهما حظًا سعيدًا .. ثم ارتدى عويناته

السوداء ودسَّ فى فمه قطعة من العلكة .. ولوح بذراعه :

- « سى يو ! »

وهنا ألهب ( بيرياسوس ) ظهور الخيل بسوطه .. فانطلقت لا تلوى على شىء نحو السماء ..

ثم نحو الغرب ......

* * *



وهنا ألهب (بيرياسوس) ظهور الخيل بسوطه ..
فانطلقت لاتلوى على شيء نحو السماء ..

# ٩ - ملحمة الأبطال ..

من عل ترى ( عبير ) جبال آسيا .. وترى معجزة الظلام الذى كان يكتنفها وهو يستحيل إلى لون أرجوانى .. ثم يغدو ضياءً ساطعًا .. ترى الرعاة يغادرون أكواخهم ، وترى الصينيين يصحون من النوم ، وتسمع أغنيات النهار من أفواه القوقاز ..

ويشدّ ( بيرياسوس ) عنان الخيول .. ثم يجلد ظهورها بسوطه .. فتصدر صهيلاً مروعًا .. وتسرع الخطى أكثر ..

يضغط على الدواسة اليسرى فتندلع النيران من مؤخرة العربة أكثر .. فأكثر .. وتتحول العربة إلى كوكب من نار يمخر عباب السماء ..

وترى ( عبير ) شبه الجزيرة العربية .. فالبحر الأحمر .. فمصر وطنها الحبيب .. وتسمع الدِّيَكة تتصايح .. وغناء القرويات إذ يصحون من النوم ليملأن جرارهن من النيل .

عربة ( أبوللو ) تعبر السماء ..

ثمّة رجل نحيل لـه كرش ضخم ، يقف رافعًا يده اليمنى .. وبتبتل فرعونى عتيد يقول :

ـ « تحيةً لك يا ( آتون ) من ابنك المخلص .. »

عندها ينقض عليه حشد من الكهنة صلع الرءوس ليوسعوه ضربًا وركلاً ..

ـ « من هذا يا ( بيرياسوس ) ؟ »

قال لها وهو يلهب ظهور الخيل :

ـ « هذا ( إخنـاتون ) .. ( أمنحتب الرابع ) الذى دعا إلى توحيد الآلهة فى صورة إله الشمس ( آتون ) .. إن هذا لم يرق لكهنـة ( آمون ) طبعًا لأنـه يجعلهم مجموعة من النصّابين .. »

تحلق العربـة فوق ( ليبيا ) .. ثم ( الجزائر ) .. وحشد من فرسان الطوارق يخرجون ليمتطوا خيولهم وينطلقوا فـى الصحـراء مبعـثرين الرمـال فـى كـل صوب .....

( المغرب ) .. ثم البحر الممتد بلا نهاية .. المحيط الأطلسى الرهيب ومياهـه تلتمـع بضيـاء الشـمس البكر ...

إن التحـكم فى الخيـول عسير حقًا .. لهذا برزت

عضلات ( بيرياسوس ) حتى كادت تمزق جلده .. والتمع العرق على صدره الذى بدت ألياف عضلاته ليفة ليفة ..

العروق توشك على الانفجار من فوديه .. و( عبير ) تتشبث بظهره فى استماتة ..

تهبط العربة حتى لتلامس الأمواج .. وترتفع حتى لتخرق السحاب .. لكنها - حيثما ذهبت - تترك الضياء خلفها ..

همست ( عبير ) فى افتتان :

- « ما أخصب خيال هؤلاء الإغريق ! »

- « ماذا قلتِ ؟ »

لن يفهم ما تقول أبدًا .. لذا صاحت :

- « لا عليك .. كنت أكلم نفسى بصوت مسموع .. »

ومن بعيد تتراءى جزر الهند الغربية .. الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية .. قطعان الخيل البرية - يسمونها ( الموستانج ) - تركض عبر السهول احتفالًا بالنهار .. وقطعان الثيران البرية - يسمونها ( البافالو ) - تفرّ من غارة مبكرة شنها الهنود الحمر عليهم .. عربات المهاجرين إلى الغرب تتحرك مع الشروق ..

لم يكن هناك أى نوع من التزامن الصحيح .. فالهجرة إلى الغرب حدثت بعد زمن الأساطير الإغريقية بعشرين قرنًا أو أكثر.. لكن هذه هى ( فانتازيا ) حيث لا وجود للزمن ..

الساحل الغربى للولايات المتحدة .. الشروق هو الوقت المناسب لكل المبارزات بين رعاة البقر .. بوم بوم ! ثم يسقط واحد غارقًا فى دمائه .. مشهد يتكرر آلاف المرات ..

المحيط الهادى يلتمع فى ضوء الشمس ..

نظرت ( عبير ) إلى الوراء لترى أن الظلام قد زحف على إفريقيا من جديد .. لقد نام الأفارقة فى الوقت الذى صحا فيه الأمريكان من نومهم ..

التفت لها ( بيرياسوس ) فى مرح .. وهتف :

- « نحن نوشك على الانتهاء من رحلتنا .. عدنا إلى نفس النقطة التى بدأنا من عندها تقريبًا .. لقد أثبتنا فرض ( ماجلان ) الخاص بأنك تعود إلى ذات النقطة لو ارتحلت غربًا .. »

ويبدو أنه تسرع فى الحكم ..

كانا يطيران فوق جزر الهند الصينية .. وكانت

أشجار النخيل تتزاحم من تحتهما .. وما كان ينبغى له أن ينسى ما قال ( أبوللو ) .. لقد وقع فى خطأ جسيم .. انحدر لأسفل أكثر من اللازم ..

وفى الحال اشتعلت قمم الأشجار .. وسرت النيران من شجرة لأخرى كفتيل قنبلة .. أو كالتفاعل المتسلسل الذى بح صوت مدرسى الفيزياء كى يشرحوا لنا ماهيته فلم نفهم ..

استحالت الغابات جحيمًا .. وراحت الأوراق الملتهبة تهوى لتحرق أكواخ الفيتناميين المصنوعة من قشٍ ...

تعالت الصرخات وخرجوا من أكواخهم غير فاهمين ..

وصاح أحدهم بفيتنامية فهمتها ( عبير ) :

ـ « الشمس تهوى فوق رءوسنا ! »

بالطبع يبدو هذا عجيبًا .. الشمس تشرق عليهم كل صباحٍ .. وتمرّ مرّ الكرام ولم يحدث قط أنها اصطدمت بنخيلهم .. فكيف ؟

ويحاول ( بيرياسوس ) أن يرتفع بالعربة ..

لكن هذا زاد الأمر سوءًا لأن نفاثات المؤخرة

ـ قاذفة اللهب ـ صارت مسلطة على القرى بشكل مباشر ..

وتعالت الحرائق ..

مياه المحيط الهادى من جديد ..

لكن الأمر لم يكن هينًا .. فالنار قد أمسكت بعربة الشمس .. والخيول أحست بلسعة النار من خلفها فازدادت جموحًا ..

وراحت تتلوى يمينًا ويسارًا .. لأعلى وأسفل ..

قارب من البامبو يحترق بإصابة مباشرة ..

صرخ ( بيرياسوس ) فى ( عبير ) :

ـ « لا جدوى ! قد جنت الخيول تمامًا .. اقفزى ! »

نظرت للمياه الهائجة من تحتها .. وعادت تنظر إليه .

ـ « قلت لك : اقفزى ! »

ـ « لـ .. لكن .. هـ .. هناك الـ .. المحيط .. »

ـ « إما الغرق وإما الاحتراق .. اقفزى ! »

وقد كان ..

وثبت ( عبير ) إلى الماء صارخة .. واستغرقت وقتًا طويلاً حتى شعرت بالماء البارد يتسرب إلى رئتيها .

هذه المرة لا مزاح هنالك .. إنها تموت حقًا ......
إنها تموو ..........

* * *

كانت هناك على الشاطئ راقدة وسط الرمال ... الحرّ قائظ والبعوض يئزّ من حولها .. والعرق يغمرها ..

وعلى بعد أمتار - ونصفه مغمور في الماء - كان ( بيرياسوس ) راقدًا على بطنه بلا حراك ..

ثمة حركة من جهة الماء ..

نظرت فرأت عجبًا .. كانت هناك فتاة حسناء شقراء الشعر تهدل شعرها ليغطى كتفيها وأكثر صدرها وظهرها .. وكانت تسبح فوق الأمواج بسلاسة مخرجة نصفها العلوى كله فوق السطح .. أهذه زعنفة سمكة تتحرك خلفها ؟!

- « مرحبًا يا ( برسفونى ) ! »

إنها تتكلم بصوت عذب رقراق .. تتكلم وتقول :

- « أنا ( الأوسيانيدة مينار ) .. لقد قمت مع عرائس البحر بإنقاذكما بناءً على تعليمات مولانا ملك البحار ( نبتون ) .. انتشلناكما من قاع المحيط وجئنا بكما إلى هنا .. »

همست ( عبير ) وهى تجلس :
ـ « أ .. أين نحن ؟ »
غطست الفتاة بلا مبرر فى الواقع .. ثم برزت من جديد لتقول :
ـ « أنتما على شاطئ ( الفلبين ) .. كدتما تلقيان نهايتكما .. لكن مولانا ـ الذى يمقت ( بلوتو ) بشدة ـ أصرّ على أن تنجوا .. »
ـ « و .. والعربة ؟ »
ـ « أنقذناها بخيولها .. وأعدناها لـ ( أبوللو ) .. إنه حانق على ما حدث لها .. ويصرّ على إرسال فاتورة الإصلاحات إلى ( بلوتو ) .. إنها بحاجة الآن إلى ( عَمْرة ) كاملة .. والأدهى أن هذا يجب أن يتم حالاً .. وإلا لن تشرق الشمس غدًا .. تصورى هذا ؟ »
ـ « و .. ولكن .. هل أنت راحلة ؟ »
لوحت ( الأوسيانيدة ) بذراعها فى مرح .. وهتفت :
ـ « طبعًا يا حبيبتى .. فمن المفترض ألا يرانا فارسك القوى هذا .. الرجال لا يرون عرائس البحر إلا مصادفة ووسط الموج .. لهذا ـ ترين ـ يستحيل عليهم أن يتأكدوا من وجودنا .. »

وقبل أن تكمل ( عبير ) كلامها غاصت ( الأوسيانيدة ) لتختفى وسط الأمواج والزبد ..

وبدأ ( بيرياسوس ) يئن .. ويتحرك ..

★ ★ ★

مسح رأسه المترنح .. ثم اتجه إلى البحر فغسل وجهه بالماء المالح ، وسعل وبصق مرارًا .. ثم سألها دون أن ينظر نحوها :

ـ « أنجحنا أم .... ؟ »

قالت وهى تقف جواره ، ومياه الموج تغسل الرمال عن أصابع قدميها :

ـ « نجحنا .. لكن الفضل ليس لنا .. الفضل لـ ( نبتون ) .. »

ـ « الكرة أهداف وليست لعبًا .. كفانا أننا ربحنا .. ولم يبق لنا سوى ثلاثة مطالب .. »

ثم نهض .. وهزّ رأسه ليسقط الماء عنه :

ـ « ترى ما هو المطلب الثامن ؟ »

ـ « ( الكراكون ) يا ( بيرياسوس ) ! »

ولم تكن ( عبير ) هى من تكلمت ..

★ ★ ★

# ١٠ - مهمة عسيرة ..

كان هذا هو ( شارون ) الذى وقف عاقدًا ذراعيه على صدره .. ثم إنه أشار إلى الأفق وأردف :

- « ستقتل ( الكراكون ) وتنقذ ( برسفونى ) .. »

- « لكن هذا عسير .. »

- « إن ( بلوتو ) محنق عليك بسبب تدمير عربة ( أبوللو ) .. دعك من احتراق ( فيتنام ) كلها بسبب حماقتك .. لن يجد الأمريكان ما يحرقونه حين يجيئون فى الستينات .. »

وهنا ارتفع صوت صهيل .. فأشار ( شارون ) إلى القادم .. وقال وهو يبتعد :

- « هو ذا ( بيجاسوس ) .. مازال حيًا يرزق .. لقد احتفظ به ( أبوللو ) على سبيل ( الرهن ) .. والآن يمكنك البدء .. »

* * *

فى الطريق لمواجهة ( الكراكون ) حكى ( بيرياسوس ) لـ ( عبير ) قصة هذا الخطر كاملة ..

تبدأ القصة بحسناء أريبة فى منتصف العمر اسمها ( كاسيوبيا ) .. غادة اشتهرت بجمالها وغرورها الذى فاق الوصف .. وكل الجميلات فى الأساطير الإغريقية جميلات جدًا .. وكل الأبطال أبطال جدًا ..

المهم ـ دعنا من الاستطراد عادتى السمجة ـ أثارت ( كاسيوبيا ) هذه حنق سادة ( الأوليمب ) وغيرتهم ..

ومن ثَمَّ سلطوا على جزيرتها تنينًا مريعًا ـ وكل التنانين فى الأساطير الإغريقية مريعة ـ كى يفتك بأهلها ويلتهم عشرات منهم يوميًا ..

وحار القوم فيما يفعلون مع هذا ( الكراكون ) ـ اسم التنين ـ فقال لهم ذوو العلم : إن الحل هو تقديم الحسناء ( أندروميدا ) ابنة ( كاسيوبيا ) قربانًا للتنين .. وكذا يتم استرضاء سادة ( الأوليمب ) المحنقين دائمًا ....

ويتم تقييد الحسناء إلى صخرة تشرف على البحر.. ثم يدعون التنين بوساطة النفير كى يخرج من وكره لالتهامها ....

هذا هو الموقف العسير الذى وجده ( بيرسيوس ) عندما وصل إلى الجزيرة وهذا هو ما دفعه إلى قتل الوحش .

هذه المرة لن يكون هناك ( بيرسيوس ) بل ( بيرياسوس ) ..

فماذا يفعل الأخير ؟!

★ ★ ★

ما إن وضع ( بيجاسوس ) قدميه الأماميتين على الأرض ؛ وما إن ترجلت ( برسفونى ) حتى هاج القوم .. وانقض رهط منهم على الفتاة التى وجدت نفسها محمولة فوق الأعناق ، تصرخ وتولول وتحاول الإفلات .. لكن هياج المجاميع من هياج السيول .. لا يمكن إيقافه أو تهدئته ..

وحاول ( بيرياسوس ) إنقاذها .. طوّح رجلين أو ثلاثة فى الهواء .. وهشم رأس أربعة أو خمسة .. وركل معدة ستة أو سبعة .. لكنهم كانوا كالبراغيث أو النمل .. لا نهاية لهم ..

فى النهاية وجد نفسه مثبتًا على الأرض ، وقد ارتمى فوق أطرافه القوية عشرة من هؤلاء الثائرين .

أما ( عبير ) ـ أو ( برسفونى ) ـ فكانت محمولة كنعش فى جنازة .. ومن بعيد دنت امرأة فى الأربعين من عمرها ، لكن الحسن لم يفارق وجهها .. كل ثيابها وإيماءاتها تمتّ للملكات ..

إنها ( كاسيوبيا ) دون شك ..

قالت بصوت أنفى عميق كأنما هى مصابة بزكام :

- « من أنت أيها الفارس القوى ؟ »

ردّ من محبسه على الأرض :

- « أنا ( بيرياسوس ) .. أرسلنى ( بلوتو ) لقتل ( الكراكون ) .. »

فى أرستقراطية دست إصبعها فى أذنها تسلكها لتحسن السمع :

- « ( بيرياسوس ) ؟ نحن بانتظار ( بيرسيوس ) ليخلصنا .. يبدو لى أنك تلفيق للأصلى .. مثلما تلفق ( تايوان ) الأجهزة الإلكترونية اليابانية وتطلق عليها اسمًا شبيهًا ! »

- « لا حيلة لى فى اسمى .. »

تأملت ( كاسيوبيا ) المشهد هُنَيْهَة .. ثم عادت تتساءل :

- « هل تقدر على هذا حقًّا ؟ »

- « ولم لا ؟ جرّبى ذلك .. »

قال أحد الرجال المتحمسين بلهجة واثقة ، واللعاب يتطاير من فيه :

ـ « إنه ( يبلف ) يا مولاتى .. إنه ..... »

ـ « اصمت يا ( سكبتيس ) » ـ قالت الملكة باشمنزاز ـ « .. إن هذا الفتى يبدو لى كبطل إغريقى .. كلهم يبدون هكذا .. لماذا لا نعطيه فرصة ؟ لن نخسر سوى حياته .. »

ـ « وحياة ( أندروميدا ) ؟ »

قالتِ فى كبرياء وهى تشير إلى ( عبير ) المحمولة فوق الرءوس :

ـ « لن أعرّض ( أندروميدا ) للخطر .. سأعرض هذه ! »

صرخ ( بيرياسوس ) وهو يحاول إزاحة جبل البشر الجاثم فوقه :

ـ « ( برسفونى ) ! لا ! لن نعرضها لخطر كهذا .. إن الأسطورة تحتم أن يتم إنقاذ ( أندروميدا ) .. »

ـ « هراء ! ( الكراكون ) سيلتهم من يراه .. ولو فشلت أنت فسوف نقدم ( أندروميدا ) فى المرة القادمة .. »

ثم أشارت إلى شعبها الحانق الذى ينتظر أمرًا واحدًا منها كى يمزق ( بيرياسوس ) و ( عبير ) وكاتب هذه السطور إلى أشلاء ..

وقالت بنفس الكبرياء الإغريقية :
- « اربطوها إلى الصخرة ! »

★ ★ ★

ويربطون ( عبير ) إلى الصخرة المطلّة على البحر ، فى وضع الصلب ، والجنازير تقيدها إلى مسامير غائرة فى الحجر ، فلا تملك حراكًا سوى التلوى بجسدها .. كأنما هى يمامة تحاول التملص من قبضة معذبها .. ويمسك ممسك منهم بالنفير فيقربه إلى شفتيه ..

كئيبًا رتيبًا يدوى الصوت كأنما هو نفير ( شارون ) ذاته .. ثم يتوارى القوم وراء أسوار مدينتهم خائفين ..

تقول ( كاسيوبيا ) لـ ( بيرياسوس ) وهى تودعه :
- « الآن حان دورك أيها الفارس .. أرنى ما يمكنك عمله .. تذكر أن فرصة مواجهة ( الكراكون ) لا تتكرر كثيرًا فى حياة المرء .. »

ويمتطى ( بيرياسوس ) صهوة حصانه المجنح ( بيجاسوس ) .. ويلوح بسيفه فى الهواء صائحًا كعادته :
- « الموت للـ ( كراكون ) ! »
- « هذا هو الحماس ! »

ورفرف الحصان بجناحيه .. فانطلق يدور دورة حول الرءوس ثم هبط قليلاً .. وعاد يرتفع مبتعدًا نحو الأمواج ..

* * *

لا شىء سوى الصمت ..

النوارس تفرّ مبتعدة كأنما تشعر بدنو الكارثة .. والأمواج تزداد هياجًا والرذاذ يصطدم بحائط الصخور المهيب ..

( عبير ) تشعر بالرهبة وشىء من التلذذ ..

لقد جربت كل شىء فى ( فانتازيا ) هذه .. حتى دور العذراء ضحية القرابين الخالدة .. هى ذى تجربه الآن بنجاح مطلق .. إن هذا يدعو للفخر حقًا أن تموت بنفس الكيفية التى تموت بها ( أندروميدا ) و ( إيفجينا ) وفتاة ( كينج كونج ) و ... و ...

لكنه شىء مريع ..!

والكون ساكن كما هو ينتظر .....

* * *

( بيرياسوس ) يبحث فى سرج الجواد عن كيس قماشى .. ذلك الكيس الذى دارى فيه رأس ( ميدوسا )

بعد قطعه .. حين كان فى المعبد العتيق مع الأخ ( هوميروس ) ..

بالتأكيد يصلح هذا الرأس لقتل ( الكراكون ) .. لِمَ لا ؟ إن ( الكراكون ) تنين .. لكنه تنين حىّ له روح .. ويمكن أن يؤثر فيه هذا الرأس ..

ولكن أين هو ؟ أيكون ( شارون ) قد سرقه ؟ من الجائز أن يكون هذا هو الـ .. آه ! هو ذا .. المهم الآن أن تتشبث به يا ( بيرياسوس ) .. وألا تراه .. وألا تدع ( عبير ) - أعنى ( برسفونى ) - تراه ...

تبًا لهذا الصمت .. الصمت الثقيل ...

من أية بقعة سيخرج هذا ( الكراكون ) الرهيب ليزيد الحياة تعقيدًا ؟!

وهنا رأى ( بيرياسوس ) ما جعله يتمنى أن يعود الصمت من جديد وأن ......

* * *

من الأعماق يخرج ( الكراكون ) ...

تنين هائل الحجم له أنياب لا يمكن حصرها .. ورأس عملاق يماثل الصخرة التى ربطت ( عبير ) إليها ..

يخرج من الأعماق والماء يتساقط من أجزائه .. وبيدين دقيقتين لهما أظفار وسلاميات يتشبث بالشاطئ رافعًا جسده أكثر فأكثر .. وإن ظل نصف هذا الجسد تحت الماء كما تفعل عرائس البحر ..

ووووووووه !

تصاعدت الصرخة المذعورة من آلاف الحناجر ، فبدت كصرخة كونية غير بشرية .. كلحن تصويرى مخيف يصاحب تفاصيل المشهد ..

وكأنما يؤكد وجوده ؛ رفع ( الكراكون ) رأسه إلى السماء .. وأطلق زئيرًا مريعًا بدا أقرب إلى هدير البراكين ..

إن ( الكراكون ) وحش .. وكل الوحوش تنظر إلى السماء وتزأر .. ولا أدرى سرّ تفشى هذه العادة السخيفة بينها ..

رددت ( عبير ) زئيرًا مماثلاً .. لكن مصدره هو الذعر طبعًا .. الذعر حين رأت هذا الجبل الحىّ يطفو خارجًا من الأعماق ليواجهها مهددًا .. لقد جاء من أجلى .. من أجلى أنا ولا مجال لسوء الفهم أو السهو أو الخطأ ..

ولكن أين ( بيرياسوس ) ؟

كل هؤلاء الأبطال الإغريق لا يأتون أبدًا حين تريدهم .. لو كان هذا هو ( سوبرمان ) مثلاً لظهر فى الوقت المناسب ..

أطلقت صرخة أخرى ..

لكن ( بيرياسوس ) كان هنا هذه المرة ..

رأت الحصان الأبيض الجميل يرفرف بجناحيه .. وعلى صهوته ( بيرياسوس ) .. وكانا يدنوان منها محلقين ..

الحصان يقوم بدورة ثم اثنتين حول رأس الوحش ..

ثم يعالج ( بيرياسوس ) الكيس ليخرج منه رأس ( ميدوسا ) ..

حقًا إنها لفكرة جيدة .. صحيح أنها مسروقة من فيلم ( صراع الجبابرة ) حيث يقوم ( برياسوس ) بقتل ( الكراكون ) مستعملاً طريقة لم ترد فى الأسطورة الأصلية .. لكن هذا لا يمنع من براعة مبتكرها ..

ومن بعيد ترى الرأس فى ذراع ( بيرياسوس ) المفرودة ..



الحصان يقوم بدورة ثم اثنتين حول رأس الوحش ..

لكن الوحش لا ينظر نحو البطل أساسًا .. إنه ينظر نحوها هى ..

يواصل ( بيرياسوس ) التحليق حوله محاولاً استفزازه ..

عينا التنين تلتمعان .. ويبدأ فى الزئير ..

وهنا وقع ( بيرياسوس ) فى خطأ صغير ..

لقد نظر فى عينى الوحش .. الحدقتين السوداوين اللامعتين تعملان كمرآة من أفضل نوع .. وفى المرآة انعكس الرأس البشع بثعابينه المتلوية .. ورآه ( بيرياسوس ) ..

لم تدر ( عبير ) متى ولا كيف حدث هذا لكنه حدث ..

صرخة داوية مروعة مفزعة رهيبة مهيبة كاسحة مزلزلة رنانة متحشرجة مبحوحة طويلة .. ثم رأت أن ( بيرياسوس ) يبيضّ .. يشحب .. يتحول إلى رخام !

تغيرات مماثلة تحدث للحصان ..

وتمثال لفارس فوق حصان مجنح يطير كالقذيفة ليصطدم بحاجز الصخور .. ويتهشم إلى ألف قطعة ..

ـ « لا !!! »

وتهوى القطع إلى مياه البحر لتختفى نهائيًا ..

أما ( الكراكون ) فقد اتضح الأمر .. إنه فوق لعنة ( ميدوسا ) ولا يتأثر بها ..

لا تبكى يا ( عبير ) ..

ستحتاجين إلى ساعات طويلة كى تفهمى حقيقة ما حدث .. كى تعرفى أن ( بيرياسوس ) قد مات !

لكن ( الكراكون ) لن يمنحك فرصة كهذه ..

إنه يواصل تقدمه منك ...

لا يهم .. سألحق بـ ( بيرياسوس ) فى ( هيدز ) .. وعندئذ لن يفرقنا شىء .. هلم أيها المسخ إنه عملك المقيت .. هلم .. هلم .. لن يكون هناك سوى ألم حادّ سريع حين يلتقى صفا الأنياب حول صدرى .. ثم لا شىء .. لا ألم ...

لن يترك لها الاحتضار فرصة لاسترجاع المشهد .. لحظة أن هلك ( بيرياسوس ) وهو لا يعرف أنه هلك ..

هلم .. هلم ..

وهنا شعرت بأنها تتحرر ..

وأن هناك من يحلق بها بعيدًا ...

* * *

# ١١ ـ مملكة الموتى ..

عبر أمواه ( ستيكس ) عرفت ( عبير ) الحقيقة ..
إنها عائدةٌ إلى ( بلوتو ) الذى ينتظرها على أحر من الجمر فى ( هيدز ) ..

ـ « ولماذا لم تتركنى ليلتهمنى ( الكراكون ) ؟ »

ـ « لأن ( بلوتو ) يريدك حية .. عنده ملايين الحسناوات الميتات فى مملكته فما الذى يميزك عنهن ؟ »

ثم إن ( شارون ) ابتسم ابتسامة مقيتة وقال :

ـ « لقد صدق ( بلوتو ) العهد .. لكن بطلك المغوار لم يستطع استكمال المطالب العشرة .. »

ـ « تبًا لك .. ولـ ( بلوتو ) ..! »

★ ★ ★

هناك كان ( بلوتو ) ينتظرها وقد بدت أشنع تعبيرات الرقة على وجهه المريع ..

ـ « ( برسفونى ) يا دودتى الحبيبة ! »

تراجعت باشمئزاز للوراء :

ـ « أنا لست دودتك الحبيبة .. »

أحاط كتفيها بذراعه الثقيلة .. واشتمت ريح الموت من إبطه وهو يقودها فى تؤدة عَبْر غابات الأشباح ..

قال لها بصوته الجليدى :

ـ « كان رهاننا وخسره فارسك .. لقد أبلى بلاءً حسنًا .. لكنه لم يبلغ النهاية .. والعبرة فى كرة القدم بالأهداف لا اللعب .. »

ثم أشار لها إلى الأفق .. حيث كان حشد من الموتى يسرى تحت ضربات أسواط الزبانية .. وقال لها :

ـ « هو ذا ( بيرياسوس ) قد اتخذ مكانه كشبح إلى الأبد .. هل تميزته ؟ إنه الرابع من الأمام .. »

ثم صاح آمرًا :

ـ « ( بيرياسوس ) ! تعال هنا ... »

سمعت ( عبير ) أحد الزبانية يأمر من فى الحشد :

ـ « هلموا .. فليغادر الحشد من يدعى ( بيرياسوس ) .. إن ( بلوتو ) لا يتمتع بالصبر .. الرجل حانق اليوم .. »

ورأته ( عبير ) يخرج من الحشد ..

كان منحنى الكتفين متثاقل الخطوات .. كأنما الموت لا يناسب صحته .. فهو ذا قد شاخ ثلاثين عامًا بعد الموت !

كان يتحاشى نظراتهما .. وأدركت ( عبير ) أن العار يجلله .. فالأبطال الإغريق يعتبرون الموت عارًا .. الأسوأ والأضعف فقط هو من يموت ...

قال لها ( بلوتو ) وهو يناولها قدحًا فارغًا :

ـ « حاولى أن تبكى .. أريد بعض القطرات هنا ! »

وهو ما لم تكن بحاجة للنصح كى تفعله ..

ذرفت بضع قطرات من الدمع .. من ثَمَّ أشار لها ( بلوتو ) كى تكف .. وناول القدح إلى ( بيرياسوس ) ليشرب منه ..

إنها ـ مرة أخرى ـ سوائل الأحياء التى تعيد القدرة على الكلام والتفكير إلى الأشباح ..

فلما أن فرغ ( بيرياسوس ) سأله ( بلوتو ) فى غرور :

ـ « هل تقبلت هزيمتك أخيرًا ؟ »

ـ « نـ ... نعم .. »

ـ « لقد أنذرتك لكنك ركبت رأسك .. ولولا عنادك لكنت حيًا تُرزق تستمتع بحساء والدتك .. »

هنا لم تستطع ( عبير ) أن تصبر أكثر .. فصاحت :
- « هذا ليس عدلاً ! »
التهبت عينا ( بلوتو ) .. ونظر لها مدققًا :
- « ما هو ( الذى ليس عدلاً ) ؟ »
قالت وقد قررت أن تصل المدى الأخير :
- « المفترض أن يكون جزاء البطولة هو النصر .. كل هذا الكفاح وسبع ( نيميا ) و ( الهيدرا ) وقتل الرخ و ... و ... كل هذا انتهى بمجرد أن فشل ( بيرياسوس ) مرة .. لن يخلد التاريخ اسمه ولن ينال حبيبة قلبه .. أليس هذا ظلمًا مبينًا ؟! »
- « التاريخ لا يخلد الفاشلين ولا المهزومين يا دودتى العزيزة .. كم من بطل مصرى أظهر الشجاعة فى موقعة ( إكتيوما ) .. لكن المنتصر كان هو ( أوكتافيوس ) .. وبالتالى لا تعرفين اسم واحد منهم .. »
- « إذن هذا عبث .. عبث كدحرجة ( سيزيف ) للحجر .. »
- « ربما .. إن انقهار الإنسان أمام القوى العظمى تيمة محببة فى ( الميثولوجيا ) الإغريقية .. »

- « والعبرة الأخلاقية ؟ ما هى العبرة الأخلاقية التى يتم استخلاصها من قصة كهذه ؟ أين تمجيد البطولة ؟ »

قال ( بلوتو ) وهو يحكّ رأسه فى إنهاك :

- « إن النهايات السعيدة توجد فى الأفلام العربية فقط .. ويبدو لى أنك أدمنتها .. »

هنا قال ( بيرياسوس ) فى حرج :

- « لو سمحتما لى .. إحم .. هناك قيمة مهمة هى قيمة الكفاح فى حد ذاته .. ليس علىّ النجاح لكنى مطالب بالكفاح طالما أنا حىّ .. لست نادمًا على شىء .. ولو كان علىّ أن أفعل ذات الشىء لفعلته .. »

ثم نظر بعينين دامعتين إلى ( عبير ) .. وغمغم :

- « سامحينى .. لقد أحببتك حقًا .. »

وبذات العينين ابتعد ليلحق بطابور الراحلين ..

- « رجل شجاع .. »

قالها ( بلوتو ) وهو يطوق كتفى ( عبير ) من جديد ..

وأردف وهو يبتعد بها :

- « لكنه مجرّد رجل .. رجل تجاوز حدوده .. »

★ ★ ★

كان ( المرشد ) واقفًا هناك جوار نهر ( ستيكس ) يداعب قلمه ، ويتبادل لفافات التبغ مع ( شارون ) الذى بدا فى قمة الانبساط .. ويبدو أن ( المرشد ) قد حكى له نكتة من النكات إياها مما جعل ( شارون ) يفقد وقاره تمامًا ...

فما إن رأى ( شارون ) ( بلوتو ) أمامه حتى كف عن الضحك ، ورمى لفافة التبغ ، وانتصب فى وضع انتباه عسكرى .. وهتف :

ـ « لقد جاء ( المرشد ) ليأخذها يا ريّس .. »

أضاف ( المرشد ) وهو يداعب قلمه الزنبركى :

ـ « تك تتك ! يؤسفنى أن أحرمك منها لكن الوقت قد حان .. وقد طالت هذه المغامرة كثيرًا .. »

هرش ( بلوتو ) لحيته فى شرود .. وقال مفكرًا :

ـ « هبنى رفضت .. »

ـ « مستحيل .. لأن قوانين ( فانتازيا ) أقوى منا جميعًا .. »

هرعت ( عبير ) لتقف جوار ( المرشد ) منقذها .. وتشبثت بذراعه فى حنين :

ـ « حسبتك لن تأتى أبدًا .. »

قال ( المرشد ) وهو يهزّ رأسه محييًا ( بلوتو ) الممتقع :

- « وداعًا يا سيد ( هيدز ) .. وشكرًا لحسن ضيافتك .. والآن قل لتلميذ الجحيم أن يوصلنا إلى عالم الأحياء عبر نهر ( ستيكس ) »

غمغم ( بلوتو ) بشيء ما ، وهو يدير ظهره مبتعدًا ..

كان هذا كافيًا ليحمل معنى الأمر لـ ( شارون ) ..

لكن ( المرشد ) همس في أذن ( عبير ) وهما يركبان الطوف :

- « لقد أحبك حقًّا .. ومن دونك تغدو مملكته .. مملكة الموتى ! »

................

لقد كانت كذلك قبل قدوم ( عبير ) .. وستبقى كذلك بعد رحيلها ...

★ ★ ★

## خاتمة غير متوقعة إلى حد ما
## وإن كان الأذكياء قد خمنوها ..

---

كان قطار ( فانتازيا ) ينتظر !

ونظرت ( عبير ) إلى ثيابها فوجدت أنها ترتدى ثيابًا محايدة غريبة الشكل ، أقرب إلى غلالة حريرية ..

كان ( المرشد ) متجهًا إلى القطار ليركبه فى روتينية عذبة .. فهتفت ( عبير ) مندهشة :

ـ « ما معنى هذا يا ( مرشد ) ؟ »

ـ « تك تتك .. معنى ماذا ؟ »

ـ « لم يحدث فى نهاية أية قصة أننى وجدت القطار ينتظرنى .. بل كنت أصحو من الحلم مباشرة ، وفى كل مرة كنت أجد ذات الثياب التى كنت أرتديها قبل بدء القصة : ثياب ( عبير ) .. »

وثب إلى عربة القطار .. ثم مدّ يده يعينها على اللحاق به ، وقال فى لا مبالاة :

ـ « تك تتك ! لا أدرى ماذا تريدين بالضبط .. نحن ذاهبان إلى حلم جديد كما فى كل مرة ! »

- « والعودة ؟ »

- « العودة إلى ماذا ؟ إلـى ( شـيرلوك هولمز ) أم (٠٠٧) أم رعاة البقر أم ( رمسيس ) ؟! »

- « بل إلى ( عبير عبد الرحمن ) .. »

- « تك تتك ! ( عبير عبد الرحمـن ) محطـة من المحطات .. يمكنك اختيارها لو أردت .. مجرّد حلم من الأحلام ! تك تتك ! »

- « عم تتحدّث ؟ عن واقعى ؟ »

- « من أدراك - تك تتك ! - أن هذا ليس واقعك ؟ وأن حياتك التى تتحدثين عنها حلـم آخر لا وجود لـه إلا فى خيالك ؟ »

صاحت فى هستيريا والذعر يخنقها :

- « هل تعنى أن الحارة وزواجى و ( شريف ) وكل ذكرياتى هى حلم من الأحلام فى ( فانتازيا ) ؟! »

- « تك تتك ! أظن هذا .. »

دامعة العينين راحت ترمق معالم ( فانتازيا ) تجرى من نافذة القطار .. وفى رأسها ألف سؤال ..

لقد قال لها ( شريف ) إن وجودها المادى ينسحب بالتدريج ليدخل ( فانتازيا ) .. فهل هذا حق ؟ هل هى حقًا ضائعة إلى الأبد فى عالم صنعه خيالها ؟

ماذا حدث إذن لجسدها الجالس فى شقتها أمام (دى ـ جى ـ 2 ) ؟ هل تلاشى ؟ أم هى غيبوبة دائمة كما حدث لها أول مرة ؟

أم أن ( المرشد ) على صواب ؟ وعندها تكون هى ذاتها حلمًا من أحلام ( فانتازيا ) ولا حياة لها سوى هذه .. وتكون حياتها السابقة كلها وَهمًا عاشته فى إحدى رحلاتها !

ربّاه ..! ما هو الجواب الصحيح ؟

الذعر والجنون يتصارعان على امتلاك عرش عقلها .. وشعور بالاختناق يجثم على صدرها ..

ربّاه ! دعنى أصحُ من هذا الكابوس ....

* * *

فى القصة القادمة نواصل هذا الصراع مع ( عبير ) .. ونواجه شعبًا غريبًا ودينًا من أغرب الأديان التى تخبط فيها الوثنيون ..

تحسس عنقك حالاً ..

فأنت فى حضرة الخنّاقين !

* * *

*( تمت بحمد الله )*

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

# مملكة الموتى

معًا نواصل مغامرتنا الشائقة عَبْر صفحات كتاب الأساطير الإغريقية .. هو ذا (بلوتو) يواصل تحدياته .. هى ذى (عبير) تكمل حلمها .. هو ذا (بيرياسوس) يواصل قهر الأسود والوحوش الكاسرة .. كل شىء مُعدّ ولم يبق إلا أن نفتح الكتاب كى نغوص - حتى أعناقنا - فى هذا العالم الساحر .. المفزع إلى حد ما.. الممتع دائمًا ..



د. أحمد خالد توفيق

الثمن فى مصر ١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٤٢